

أبو العباس المرسى

وسجده الجامع بالإسكندرية

تأليف
حسن النيدوي

المشاهدة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٤

الطبعة الأولى بنفقة وزارة الأوقاف

جميع الحقوق محفوظة للأوقاف



إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح المتوكل على الله ”فاروق الأول“ ملك مصر

مولاي :

جرت سنة الكتاب ، في عهود ازدهار العلوم والآداب ، أن يرفعوا إلى الصالحين من ملوكهم ، ثمار قرائحهم . وأن يشرفوا آثارهم ، بعهود مآثرهم . لتكون خالدة على الأدهار ، باقية في جباه الأعصار .

واقتداء بهذه السنة الحميدة ، وانتهاجا لهذه الشرعة الحميدة ، آثرت أن أتوج هذه الرسالة — التي وضعتها عن ”أبي العباس المرسى ومسجده الجامع بالاسكندرية“ — باسم مولاي الفاروق . وأن أرفعها إلى سدة العلية . لاسيما وقد كان لمولاي الفضل الأكبر في إتمام ما بدأ به والده المصلح العظيم الملك ”فؤاد الأول“ — أسكنه الله فسيح جناته — من إنشاء هذا المسجد وتشيدته ، حتى بلغ بعنايته الملكية في عهده السعيد ، الغاية التي لا تنال ، من الفخامة والجلال . وبذلك جاء تحفة فنية يفخر بها عهده ، ويزهو بها عصره .

ولا أشك في أن عطف صاحب الجلالة المليك المحبوب وسامى تقديره ، سيسملان هذه الرسالة بما تستحقه من الرعاية ، وسيحلانها من النظر الكريم محل القبول . فمولاي حفظ الله وجوده ، خير من ترفع إلى سدة الأسفار ، وتتوج باسمه الآثار .

والله أسأل أن يمد مولاي الفاروق بروح من عنده . وأن يديم إمتاع أمته الكريمة بطول حياته ، وهناءة أوقاته . وأن يؤيده بنصره المؤزر على وجه الزمن إنه سميع مجيب ما

المخلص في ولائه
حسن السندوبى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف النبيين ،
وأكمل المرسلين ، أفضل أصفياه ، وصفوة أوليائه : محمد بن عبد الله ،
المبعوث رحمة للعالمين ، ونجاة للتقين ، والمنزل عليه في كتابه
المكتون : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .



مقدمة

وبعد ، فقد رغب إلى حضرة صاحب المعالي السيد محمد عبد الهادي الجندى باشا وزير الأوقاف ، فى أن أضع رسالة فى حياة الشيخ الصالح العارف بالله " أبى العباس المرسى " . وفى تاريخ مسجده الجامع الشهير بالإسكندرية ، على الطريقة التى أراها صالحة لذلك ، فرأيت أن أتبع آثاره ، وأستقصى أخباره ، وأن أبين الأدوار التى مرت بالمسجد : من وضع وإنشاء ، وتشيد وبناء ، وتجديد وثناء . على أن أصفه على الحالة التى أصبح عليها من الفخامة والجمال ، بعد أن كفله المغفور له الملك "فؤاد الأول" بكرىم عناية ، وشمله الملك الصالح المتوكل على الله " فاروق الأول " بعظيم رعايته ، حتى بلغ شأو الكمال ، وأوفى على الغاية من البهاء والجلال ، وجاء على خير ما يرمى أن تكون عليه المساجد الجامعة فى ديار الإسلام .

فجزدت العزم للقيام بهذه الرغبة ، وواصلت النهار بالليل ، باحثا منقبا . غير أنى رأيت أن الرسالة لا تكون تامة الوضع ، مرجوة النفع ، إلا إذا قامت على الإحاطة والاستقصاء ، وإلا أن تكون سلسلة فصولها متصلة الحلقات ، ملتحمة البناء ، محيطة بكل ما يهم معرفته من حياة الشيخ أبى العباس . وما يصح الوقوف عليه من دقائق أحواله ، وجلال أفعاله ، وبدائع أقواله .



ولأجل الوصول إلى هذه الغاية ، بدأت القول بتهييد في علاقة المصريين بالأندلسيين في ذلك العهد الذي وفد فيه "أبو العباس" إلى الديار المصرية مع شيخه أبي الحسن الشاذلي ، وعلة ما لقياه بمصر من الحفاوة والإجلال .



ثم تلوت ذلك بالكلام عن أبي الحسن ، وبينت شؤونته وأحواله ، ومبادئه وأقواله ؛ لأن شرف التابع بشرف المتبوع ؛ ولأنه لا يظهر فضل أبي العباس إلا بظهور فضل أبي الحسن . ومما لاشك فيه أن الشيخ أبا الحسن كان رأس مدرسة خاصة تخرج فيها رجال أضأوا العقول ، وأناروا القلوب ، وسموا بالنفوس إلى الغايات المرجوة من طهارة الأرواح .



وما مثل مجيء أبي الحسن الشاذلي إلى الديار المصرية من الغرب ، إلا كمثل مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إليها من الشرق ، كلاهما أحييا نفوسا بمعارفه ، وبعث هما بمواقفه ، وأنار عقولا ، وملأ صدورا ، وحزك قلوبا : ذاك باللطائف العلية ، والمعارف الدنية . وهذا بالشرائع القدسية ، والعلوم الكونية . وكلاهما ترك تلاميذ ومريدين حملوا لواءه ، وأذاعوا فضله وأعلنوا نداءه ، وترسموا منهج إصلاحه ، وسروا في ضوء مصباحه . وكلاهما تركت معارفه على تنوعها في واحد من أصحابه ، بذ أقاربه ، وفاق أخدانه . فكان أبو العباس للشاذلي ، كمحمد عبده للأفغاني . كما كان ابن عطاء الله في إذاعة مبادئهما ، كالسيد رشيد رضا في نشر معارفهما . وهذا من الدلائل على عناية الله بمصر ورعايته لأهل كنانته .



ثم أمضيت الحديث عن أبي العباس ، فذكرت حياته على الصورة التي يستريح إليها القارئ العصري ، مصفاة من الشوائب التي لم يألّفها الذوق المصري . كما عرضت مناقبه وشماله . وتلوت ذلك بالمأثور من بديع كلامه ، والمذكور من مبادئه وتعاليمه ، وقفّيت على أثره ، بالمرؤى من نثره ، والمختار من شعره .



ولإظهار كمال فضله ، وإبانة آثار نبّله ، انتقيت من تلاميذه ومريديه ثلاثة : هم القدوة الراجحة ، والأسوة الصالحة . فعرفت بالبوصيري ، وبابن عطاء الله السكندري ، وبياقوت العرشي . وما منهم إلا من هو عظيم في بابيه ، إمام في محرابه .



ثم تكلمت عن المسجد القديم وما طرأ عليه في عهوده المختلفة ؛ إلى العهد الأخير ؛ كما بينت الأدوار التي اقتضاها إنفاذ المشروع الخاص بتجديده وإنشائه ، بناء على الرغبة الملكية السامية ، التي أشار بها المغفور له الملك " فؤاد الأول " أسكنه الله فسيح جناته .



أما الجامع الجديد ، فقد وصفته على ما صار إليه وصف معاينة ومشاهدة ، فلم أترك فيه شيئا يحسن عرضه ، إلا أعطيته حقه من الوصف الدقيق بأقيسته ونعوته .



ولما كان الجامع يحوى ضريحا غير ضريح أبي العباس ، كان من الضروري ؛ لتمام الوصف وكمال البيان ؛ التعريف بسكان هذا الضريح ، لاسيما وقد أرشدني البحث عن حقيقتهم إلى أنهم كانوا من أكابر العلماء ، وأفاضل الصالحاء . فعرفت كلا منهم تعريفا وافيا ، ليكون حاضر المسجد على بينة مما فيه ، وعلى علم مما يشمله ويحويه .



على أننى فوق ذلك، قد طرزت حواشى هذه الرسالة بالشروح والتعليقات، التى لا بد منها لإبانة ما يحسن إبانته مما تخللها من الإشارات، وكثير منها قد يدق على متوسطى الفهم، أو يحتاج إليه طالب العلم، كما حليتها بالتراجم والتعريفات لمن وردت أسماءهم فى ثناياها من رجال العلم والدين وأعلام التاريخ؛ موجزا الكلام عليهم، مع كشف طرف من مزاياهم، وأثبت تواريخ وفياتهم بالسنة الهجرية، مقترنة بالموافقات للسنة الميلادية. وفى هذا مرفق لمن يريد البحث من جميع نواحيه الدنية أو القصية؛ كما تحزيت ذلك وحققته؛ حتى إن القارئ ليخرج من هذه الرسالة وقد تفتحت أمامه سبل المعلومات، واتسعت بين يديه رحاب المفهومات، وألم بماجرىات الأحداث الزمنية فى عهود أعلام هذه الرسالة.



وقد اعتمدت فى إيراد ذلك كله على مراجع شتى — تراها فى ثبته فى آخر الرسالة — وعلى مشاهدات كثيرة، واستعلامات جمة من أهل المعرفة، وعلى اتزاع من قوى النفس، وإلهام من خطرات القلب، ولوامع من طوايا الضمير. ولعل بهذا أكون قد بلغت الغاية التى توخيتها فى تأليف هذه الرسالة وتحريرها من التحقيق والتحصيص؛ ولقد راعيت فيما اخترته فيها من كلمات منشورة أو عبارات منظومة وما عرضت له فيها من بحوث؛ الذوق العصرى والتفكير الحديث.



وبعد، فهذه الرسالة سيجد فيها المؤرخ حجته، والأديب بغيته، والباحث ضالته، والصوفى غايته، والقارئ سلوته. أضعها بين يدى القراء على اختلاف وجهات أنظارهم، وتباين مرامى أفكارهم. ومن الله تعالى وحده أستمّد التوفيق وأرجو حسن الجزاء.

حسن السندوبى

القاهرة فى يوم الخميس } ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٢
أول أبريل } ١٩٤٣

مَهْجَرٌ

في

علاقة المصريين بالأندلسيين

لما كان الشيخ أبو العباس أندلسي الأصل ، وكان شيخه أبو الحسن مغربي المنشأ ، وكلاهما مصري الوفاة والإقامة والوفاة ؛ رأيت من الحديث الحسن أن أشير إلى ما كان بين المصريين وبين الأندلسيين والمغاربة من النوازع النفسية ، والروابط القلبية ، التي كانوا يؤثرونها على غيرها من الإعتبارات ، فتقوم بينهم مقام الأواصر والعلاقات ، ليتبين كل مطلع على هذه الرسالة الأسباب التي دعت إلى ما لقيه الشيخ أبو العباس وشيخه أبو الحسن من الحفاوة البالغة ، والرعاية الفائقة ، من المصريين عند ما حلّوا في ديارهم . وكذلك ما لقيه ويلقاه غيرهما ممن هم على سمتهما . وذلك قبل أن أطلق القلم في التحدث عما وضعت الرسالة في شأنه . فأقول :



كان المصريون في القرون الوسطى ينظرون إلى الوافدين على بلادهم من الأندلس وشمال أفريقيا ، نظرة عطف وتقدير . وكانت لهؤلاء الوافدين منزلة حسنة في نفوسهم ، إذ كانوا يتمتعون — متى حلوا في ديارهم — بأفضل ما يتمتع به أمرؤ بين أهله وعشيرته . وكان السبب في هذا العطف وهذا التقدير ، راجعا إلى أن المصريين كانوا يرون في سكان الأندلس وأهالي شمال أفريقيا ما يرونه في الغزاة والمجاهدين في سبيل الله ، العاملين على أن تكون كلمته هي العليا ، من الإجلال

والإجبار ، واعتبارهم من أبطال الإسلام . لأنهم كانوا إذ ذاك محوطين بالأعداء المغيرين ، الذين يتحينون كل فرصة للاستيلاء على بلادهم ، وإجلائهم عن ديارهم . فهم كانوا مرابطين في ثغر من أهم الثغور الإسلامية ، التي يجب حفظها والدفاع عنها بالنفس والنفيس .

وهذه الحالة كان يقدرها المصريون حق قدرها ، ويقدرسونها أكبر تقديس . لأن المصريين أنفسهم كانوا يشاركونهم في هذه الصفة ، ويساندونهم في هذه الحالة ؛ فقد كانت الديار المصرية في تلك العصور على ما كانت عليه بلاد الأندلس وديار المغرب ، من التعرض للغزو والاجتياح ، لاسيما من غارات الصليبيين ، وهجمات التتار والمغوليين . وكانت متتابعة حتى لا تكاد تنقطع . فكان المصريون مع أعدائهم في تلك الأزمان ، في الموقف الذي كان يقفه أولئك الإخوان .



وقد عثرت على رسالة بعث بها " لويس التاسع " ملك فرنسا إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، حينما وصل بأسطوله إلى المياه المصرية ، واحتل دمياط بجيوشه الجتارة في ٢٠ و ٢١ صفر سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) وهي الحرب الصليبية السابعة ، ومنها يتبين صدق الرأي فيما ذهبت إليه ، وهذا نصها :^(١)

... « أما بعد ، فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية ، كما أنى أقول إنك أمين الأمة المحمدية ، وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونزمل النساء ، ونستأمر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . وقد أبديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصيح إلى النهاية . فلو حلفت لى بكل الأيمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصليبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول إليك ، وقتالك فى أعز البقاع عليك ، فإن كانت البلاد لى فيأهدية حصلت فى يدى ،

(١) عن كتاب " السلوك للقرىزى " .

وإن كانت البلاد لك والغلبة على^١، فإدك العليا ممتدة إلى^٢، وقد عرفتك وحذرتك،
من عساكر قد حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ،
وهم مرسلون إليك بأسيا^(١)ف القضاء » .

ومن هنا جاءت هذه العاطفة الكريمة ، وتجلت هذه الروح العالية، التي كانت
تترف عليهم جميعا ، وتؤلف بين قلوبهم ، وهي التي كانت تملئ عليهم عواطف
المودة والإخاء ، على تنائي الديار ، وتباعد الأقطار .

(١) ومن المعروف أنه في سنة ١٢٤٨م (١٢٥٠م) وذلك في عهد الملك المعظم توران شاه الأيوبي
هزم المصريون جيش لويس التاسع في منية أبي عبدالله غربي فارسكور. ووقع هو وأخوته وكثير من ضباطه
في الأسر. فأودعهم توران شاه دارالقاضي نحر الدين بن لقمان بالمنصورة، ووكل بهم الطواشي صبيح المعظم
وأجرى عليهم الأرزاق الواسعة والرواتب السخية، إلى أن سرحوا على الفداء، وقدره فيما ذكر المقرزي
٤٠٠ ألف دينار . وقال الأستاذ عزيز خانكي بك فيما نشره بجمريدة الأهرام بعددها الصادر في ٩ مايو
سنة ١٩٤٣ : أنه لبث في السجن شهرا كاملا — من ٧ أبريل إلى ٧ مايو سنة ١٢٥٠ — ثم أدخل
الملك المعظم سبيله وسبيل أخوته والبقية الباقية من جيشه، مقابل تسليمه مدينة دمياط، بعد أن احتلها سنة
أشهر، ودفعه سبعة ملايين من الفرنكات (٢٨٠.٠٠٠ جنيه ذهب) وكثير من زاروا مدينة المنصورة شاهدوا
الدار التي قيل إنها كانت سجنًا لملك فرنسا لويس التاسع. قلت : والباقي من أثر هذه الدار بالمنصورة لا يمت
بصلة إلى نفاها في تلك الأزمنة. فقد جار عليها الزمن كما جار على كثير من آثار العصور الإسلامية الزاهرة.
وفي هذه الوقعة قال صاحب جمال الدين بن مطروح :

قل للفرنسيس إذا جتته * مقال نصيح من قول فصيح
أتيت مصرا تبغى ملكها * تحسب أن الزمر باطل ربح
فساقك الحين إلى أدهم * ضاق به عن ناظر بك الفسيح
وكل أصحابك أودعهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفا لا يرى منهم * إلا قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أزمعوا عودة * لأخذ نار أو لأمر قبيح
دار ابن لقمان على حالها * والفيد باق والطواشي صبيح

وكانت هذه هي الحرب الصليبية السابعة . أما الثامنة فقد قام بها لويس التاسع أيضا وهاجم تونس
فأت هناك بالطاعون سنة ١٢٧٠ م .

ولا شك في أن المصريين بطبيعتهم صرّفوا الحس في الاعتقاد الديني ، ولهذا حظى عندهم الأندلسيون والمغاربة بمنزلة حسنة إلى الغاية ؛ وقد ساعد على ذلك أن الدين الإسلامي لا يعترف بحدود أو حواجز بين الأمم والأجناس ، التي تعتقه وتشهد بوحدانية الله تعالى ، فهو أمة واحدة ، وجنسية واحدة ، تستغرق الأمم والأجناس التي تنضوى تحت قول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وقد علم الأندلسيون وغيرهم هذه العاطفة الكبرى ، ولمسوا ظواهرها وعواملها عند المصريين ، فأخذوا في الاستفادة منها ، والانتفاع بفوائدها ، وأقبلوا على الوفود إلى الديار المصرية : حاجين ، أو متجرين ، أو لاجئين — دع الدعاة والفاقيين ، والدهاة والسياسيين — فكانوا بهذا الروح يرون في أهل مصر " أهلاً بأهل ، وجيراناً بجيران " .

وكان من هؤلاء الوافدين " الشيخ أبو الحسن الشاذلي " وصاحبه " الشيخ أبو العباس المرسي " .



ولأجل إتمام البحث واستكماله ، وتناوله من جميع أطرافه ، رأيت أن أقدم الكلام عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، على الكلام عن الشيخ أبي العباس ، لأن الشاذلي أستاذه ، وبه تخرج ، وعليه تعلم ، وهو الذي هداه إلى الطريق القويم ، وأرشده إلى الصراط المستقيم . فأقول ، ومن الله أستمد العون ، وأرجو حسن القبول .

أبو الحسن الشاذلي

هو شيخ الطريقة ، وعلم الحقيقة ، العارف بالله ، تقي الدين أبو الحسن على ابن عبد الجبار ، الشريف الإدريسي الحسني ، مؤسس الطائفة الشاذلية ، وأستاذ أبي العباس المرسى . ينتهى نسبه إلى الأدارسة الحسنية سلاطين المغرب الأقصى . كان مولده بقرية " غُمارة " من قرى أفريقية ، بالقرب من مدينة سَبْتَة ، في نحو سنة ٥٩٣ هـ (١١٧٩ م) ولما بلغ سن التعلم تلقى علومه ومعارفه الإبتدائية على شيوخ بلده ، وحفظ القرآن الكريم وجوّده وأحسن تفهمه ؛ ثم ناقت نفسه إلى الإستزادة من المعارف فرحل إلى زرويلة قرب تونس وأخذ عن شيوخها ؛ ثم نزل شاذلة من قرى تونس ، وتزوّد من علمائها ، وصار يتردّد على مشيخة تلك الديار ويأخذ عنهم علوم الشريعة ، وآداب الطريقة ، ومبادئ السلوك .

وكان كثير السياحات في بلاد أفريقية ، فدخل القيروان وغيرها من المدن الحافلة بالعلماء والفضلاء ، فتفتّحت له أبواب الحقائق ، واتسعت أمامه سبيل الطرائق ، وأقبل عليه من أقاصى البلاد وأدانيتها ، جمهرة من علمائها وزهادها وأهل النسك فيها ، وصحبه منهم أبو الحسن على بن مخلوف الصقلي ، وأبو عبد الله الصابوني ، وأبو محمد عبد العزيز الزيتوني ، وأبو عبد الله البجائي الخياط ، وأبو عبد الله الجارحي الخياط ، واختص بخدمته أبو العزائم ماضى .

ثم تابع رحلاته إلى المشرق ؛ فدخل العراق ، ولقى الشيوخ ، واجتمع بطائفة من الصالحين ، وجج مرارا . ثم صحب الشيخ عبد السلام بن مشيش^(١) ، والشيخ أبا عبد الله

(١) كان الشيخ عبد السلام بن مشيش من أكابر أهل الطريق ، وكان سيّدا من ساداتهم ، داعيا إلى الله في السر والعلن ، لا يخشى في ذات الله لومة لائم . قال أبو العباس المرسى : مات الشيخ عبد السلام ابن مشيش مقتولا ، قتله ابن أبي الطوابع ببلاد المغرب . قلت : ودفن بسفح جبل الأعلام بتطوان ، وقبره لا يزال قبلة الفاسدين للتبرك والزّيارة والدعاء .

محمد بن حازم، وأخذ عنهما أصول السلوك، وأقام بتونس بعد أن أتقن علومًا جمة من : نحو، وصرف، ولغة، وبيان، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وتجبر في الشريعة، وتخصص في الحقيقة؛ كما أجاد تفهم مبادئ القوم وطرائقهم، وتفقه مناهجهم، وتكشفت له أسرار سلوكهم؛ حتى كان يناظر في شتى العلوم ومختلف الفهوم، فكان قلبه مستودع الأسرار الربانية، وفؤاده منبع الحقائق العلوية.

وفي سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) التقى به الشيخ أبو العباس المرسى في زاويته التي كان أنشأها بسفح جبل زغوان، فصحبه ولازمه وحظى عنده وتخرج به .

وكان يجتمع عليه في تونس خلق كثير من عامة الناس وخاصتهم . فأوجس منه قاضى الجماعة - الفقيه أبو القاسم بن البراء - خيفة، فدخل إلى السلطان أبي زكريا وقال له : إن ههنا رجلا من أهل شاذلة سراق الحير، يدعى الشرف، وقد اجتمع إليه خلق كثير، ويدعى أنه الفاطمى، ويشوش عليك في بلادك . فعقد السلطان مجلسا من القاضى وغيره من جماعة الفقهاء ، وأمر باحضاره ومناظرته واستبانة أمره . فلما حضر حاولوا إعناته بالأسئلة، فكان يجيب عن كل سؤال بلسان طلق وبيان بليغ ، وكان يوضح لهم ما غمض عليهم من أسرار العلوم الشرعية، ومقاصد أهل الطريقة ، حتى أجمعهم جميعا ، والسلطان يسمع كلامه من وراء حجاب ، ويعجب من أجوبته ، فقال لابن البراء : هذا رجل من أكابر الأولياء ، وما لكم به طاقة . ولخوف الفتنة من العامة، أرسله السلطان عند الغروب صحبة أخيه أبى عبد الله المهيانى إلى بيته مكرما معززا .

ثم أقام الشيخ بتونس أياما باع في خلالها داره التي كان يسكنها بمسجد البلاط وأمر أصحابه بالنأهب للتوجه إلى المشرق ، ولما خرج بصحبه من تونس علم السلطان بذلك ، فخشى سوء القالة، وبعث إليه بالرجوع فقال لرسوله : قل للسلطان : ما خرجت إلا بنية الحج، ومتى قضى الله حاجتى أعود إن شاء الله تعالى .

وفي سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) ما كاد يصل إلى الإسكندرية حتى قبض عليه هو وصحبه ، واعتقلوا بها أياما ثم أطلقوا . وكان السبب في ذلك ، أن ابن البراء كتب إلى سلطان مصر يقول له : إن هذا الواصل إليكم شوش علينا بلادنا ، وكذلك يفعل في بلادكم . فاعتقله والى الإسكندرية ، ثم تبين لأولى الأمر حقيقة الحال فأطلقوه .

وحضر معه إلى مصر جماعة من العلماء والصالحين وعلى رأسهم : أبو العباس المرسى ، وأخوه أبو عبد الله جمال الدين محمد ، وخادمه الخاص أبو العزائم ماضى . ثم حج الشيخ أبو الحسن إلى بيت الله الحرام ، وعاد إلى تونس وأقام بها إلى أن لحق به أبو العباس المرسى ، ثم وفدوا جميعا إلى الديار المصرية للإقامة النهائية . وفي هذه المرة حضر معه أيضا جماعة آخر ، واتخذ الإسكندرية نزلًا له ولصحبه وتديرها دارا بإزاء قلعة الديماس المعروفة بكوم الدكة . وكان يلقي دروسه بجامع العطارين^(١) ، ويحضر عليه أجلاء العلماء ، وأكابر الفضلاء ، ويرشد المريدين ، ويدعو إلى رب العالمين ، ويعقد حلقات الذكر والوعظ والتهذيب ؛ وكان الإقبال على دروسه عظيمًا جدًا لا فرق في حضورها بين أفاضل الخاصة وأذكياء العامة .

وفي هذا الجامع قدم الشيخ أبا العباس وأعلن خلافته له ، وأذن له في إلقاء الدروس على طلابه وتلاميذه ، وأن يفقههم في دينهم ، ويعلمهم مبادئ الشريعة وسبل الحقيقة ، ويرشدهم إلى الله تعالى . ثم أكثر بعد ذلك من الترحل بالبلاد ، والتنقل في داخل الديار المصرية ، مبشرا بمبادئه ، ناشرا علومه ومعارفه .

(١) أول من عمر جامع العطارين بالإسكندرية ، أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي مثولى دولة المستنصر الفاطمي ، وكان قويا حازما ، أباد المفسدين وقهر الثائرين والمتغلبين . وكان محبا للمهارة ، مولعا بالبناء والتشييد . وله آثار جيدة بالقاهرة والإسكندرية ؛ وقد أنشأ هذا الجامع من أموال المصادرات ، وفرغ منه في ربيع الأول سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) . وتوفي في أوائل ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٥ م) .

وكثيرا ما كان يلزمه الشيخ أبو العباس في رحلاته ، أو يلحق به في إقاماته .
ثم يعودان إلى الإسكندرية ؛ وكانت دروس الشيخ أبي الحسن بالمدرسة الكاملية^(١)
بالقاهرة مظهرا من مظاهر العظمة والجلال ، فكانت لا تزال غاصة بأكابر العلماء ،
وفطاحل الفقهاء ، حافلة بعظماء الأئمة ، وكبراء الأمة ، أمثال : الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام^(٢) ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد^(٣) ، والشيخ زكي الدين عبد العظيم
المنذرى^(٤) ، والشيخ أبي عمرو عثمان بن الحاجب^(٥) ، وأبن الصلاح^(٦) ، وأبن عصفور^(٧) ،

(١) هذه المدرسة كانت بخط بين القصرين ، على رأس الشارع الموصل إلى بيت القاضي . أنشأها الملك
الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) .

(٢) هو سلطان العلماء شيخ الاسلام الإمام عز الدين عبدالعزيز بن عبد السلام . كان أحد أفراد الدهر
علما وفضلا ؛ وكان قوى النفس لا يخشى في الحق لومة لائم . وله مع السلطان الظاهر بيبرس وغيره مواقف
مشهودة . وكان السلاطين يعظمونه ، ويهابونه ، ويخشون سطوة لسانه الصادق ، ويعملون بمشورته ،
وكان من صفاته العفة ، والنزاهة ، والتقوى ، والورع . وكان مولده بدمشق سنة ٥٧٧ هـ . وتوفي
بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) .

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي (ابن دقيق العيد) القشيري القوصي المصري .
كان من أكابر العلماء وأفاضل الصالحين . وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : الديار المصرية
تفتخر برجلين في طرفيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالإسكندرية . كان مولده في سنة ٦٢٥ هـ .
وتوفي سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) .

(٤) هو الحافظ الكبير زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المصري . كان في عصره
عديم النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه . وكان أدبيا بارعا ، وفي الفقه والعربية متبحرا . وكان من
الورع والتقوى على جانب عظيم . ولد بمصر سنة ٥٨١ هـ . ومات بالقاهرة سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .
(٥) له ترجمة مستقلة تأتي في أواخر الكتاب .

(٦) هو العلامة الشيخ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح) الشهرزوري الدمشقي . كان مفتي
الشام ومحدثها ، وكان كثير الترحل في طلب العلم والحديث وإتقاء الشيوخ . وكان من شيوخ آبن خلكان .
توفي بدمشق سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٦ م) .

(٧) هو أبو الحسن علي بن مؤمن الأشبيلي النحوي (ابن عصفور) . كان من أكابر النحاة في عصره .
ولم يكن عنده من المعارف غير النحو على ما قيل . توفي سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧١ م) .

(١) وآبن عوف، وآبن سُراقَة، ومكين الدين الأسمر، وغيرهم. وهؤلاء كانوا سادة العلوم الشرعية والعرفية، وأمرءاء الفهوم الربانية. وكانوا يجلسون إليه، ويحتبون بين يديه، في أدب جم، واحتشام كثير. ويستمعون إلى كلامه بأذان مصغية، ويعون أقواله بقلوب واعية، وأفهام صافية. وقد أثنوا عليه بما هو أهله، واعترفوا بتبحره وغرارة فضله.

رجع أبو الحسن مرة من الحج إلى الاسكندرية، فأتى إلى الإمام عز الدين ابن عبد السلام في منزله قبل أن يذهب إلى بيته فقال له: الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام. فاستصغر الشيخ عز الدين نفسه أن يكون أهلاً لذلك. ثم دعى الشيخ عز الدين إلى خانقاه الصوفية بالقاهرة، وحضر معه الشيخ محيي الدين ابن

(١) هو أبو الفتح نبيه الدين عثمان بن هبة الله (آبن عوف) العوفي الزهري أحد شيوخ الاسكندرية وأفاضلها. توفي سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م).

(٢) هو الشيخ الصالح محيي الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم (ابن سراقَة) الأنصارى الشاطبي أحد الأئمة المشهورين بفزارة العلم، وكان من شيوخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة. وله مؤلفات في التصوف وغيره. توفي سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م).

(٣) هو الشيخ الفاضل الورع الكامل، مكين الدين عبد الله بن منصور الأسمر، شيخ القراء بالاسكندرية، وكان من أرباب البصائر ومن النافذين إلى الله سبحانه وتعالى، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يقول عنه: بينكم رجل يقال له عبد الله بن منصور أسمر اللون أبيض القلب، وهو من السبعة الأبدال. قلت: ولما قرأته عنه وعرفته من حاله كنت أتمنى أن أعرف قبره لأزوره وأقرأ عليه شيئاً من القرآن الكريم. فلما كنت بالاسكندرية في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٦٢ لمعاينة جامع أبي العباس المرسى والتحقق من المدفونين به، وزرت البوصيري وياقوت العرشي، رأيت خلف مسجد ياقوت من الجهة الشرقية ضريحاً صغيراً عليه سقفة من الخشب، لا تليق بمقام ذلك الرجل الفاضل، وقد كتب على لوحة علق على الضريح (هذا قبر سيدي محمد مكين الدين الأسمر) وهذا من الخطأ الفاحش الذي لا يصدر إلا عن جهل فاضح. وباحبذا لو عثرت وزارة الأوقاف بشأن هذا الضريح وإظهاره بما يليق بصاحبه من الكرامة. وكانت وفاته في سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٢ م).

(٤) هذه الخانقاه — ومعناها بيت العبادة — كانت بخط الجمالية تجاه حارة الميضة بجوار حمام الجمالية، وكانت في الأصل دار الأستاذ قنبر أحد خدام قصر الخليفة المستنصر الفاطمي، وكان من المحكيين. وكان يلقب "سعيد السعداء". فلما استقر السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر أحال هذه الدار إلى خانقاه برسم الصوفية ووقف عليها أوقافاً. وهي أول خانقاه حدثت بالديار المصرية. توفي في سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) وهو الأصح، لا كما ذكره على باشا مبارك من أنها حدثت سنة ٦٥٩ هـ. وكان أهلها يعرفون بالعلم والصلاح وينعت شيخها "بشيخ الشيوخ". وما زالت مشهورة بخانقاه سعيد السعداء وبخانقاه الصلاحية إلى أن تغيرت الأحوال وكثرت الخانقاوات بالقاهرة. ثم تحولت في العهد العثمانية إلى تكايا.

سراقة ، وعلم الدين يس أحد أصحاب ابن عربي . فقال ابن سراقة للشيخ عز الدين : لِيَحِظْكُمْ مَا سَمِعْنَا يَا سَيِّدِي ! والله إن هذا شيء يُفْرَحُ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَنْ يَسْلَمُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال الشيخ عز الدين : الله يسترنا . فقال العلم يس : اللهم افضحنا حتى يتبين المحق من المبطل . ثم أشاروا إلى القَوال أن يقول — وكان بعيدا عنهم بحيث لم يسمع ما دار بينهم — فكان أول ما قال : « صدق المحدث ، والحديث كما جرى » . فقام الشيخ عز الدين وطاب منه ، وقام الجمع لقيامه .

قال الشيخ مكي بن الدين الأسمر : حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الانام عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري^(١) المدرّس ، والشيخ محي الدين بن سراقة ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي . ورسالة القشيري تُقرأ عليهم ، وهم يتكلمون ، والشيخ أبو الحسن صامت ، إلى أن فرغ كلامهم . فقالوا : يا سيدي . نريد أن نسمع منك ؟ فقال : أتم سادات الوقت وكبرأؤه ، وقد تكلمتم ! فقالوا : لا بد أن نسمع منك ! فسكت الشيخ ساعة ثم تكلم بالأسرار العجيبة ، والعلوم الجليّة . فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال : إسمعوا هذا الكلام الغريب ، القريب العهد من الله .

وقال : مكثت أربعين سنة يشكّل على الأمر في طريق القوم ، فلا أجد من يتكلم عليه ويزيل غنى إشكاله ، حتى ورد الشيخ أبو الحسن الشاذلي ، فأزال غنى كل شيء أشكّل على . ورأيت الناس يدعون إلى باب الله ، وأبو الحسن يدخلهم على الله تعالى .

(١) هو الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري والد تقي الدين بن دقيق العيد المالكي . كان شيخ أهل الصعيد في زمنه وكان منزله بقوص . كان جامعا لفنون العلم موصوفا بالصلاح والنأله ، معظما في القوس . توفي عن ٨٦ سنة في سنة ٥٦٦٧ هـ (١٢٦٨ م) .

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : ما رأيت أعرف بالله من الشيخ الشاذلى .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى تلميذ أبى العباس المرسى :
أبو الحسن الشاذلى قطب الزمان ، والحامل فى وقته لواء أهل العيان ، الشيخ
الامام حجة الصوفية ، علم المهتدين ، زين العارفين ، أستاذ الأكابر ، والمتفرد
فى زمنه بالمعارف السنية والمفاخر ، العالم بالله ، والدال على الله ، له السياحات
الكثيرة ، والمنازلات الجلييلة ، والعلوم الجمة ، لم يدخل فى طريق الله حتى كان
يعد للنظرة فى العلوم الظاهرة . ذو علوم كثيرة ، لم يختلف فى قطبانيته ذو قلب
مستنير ، ولا عارف بصير . جاء فى هذا الطريق بالعجب العجائب ، وشرع فى علم
الحقيقة الأطناب ، ووسع للسالكين الرحاب .

وقال : أخبرنى والدى قال : دخلت على الشيخ أبى الحسن الشاذلى فسمعتة
يقول : والله لقد تسألونى عن المسألة لا يكون لها عندى جواب ، فأرى الجواب
مسطرا فى الدواة والحصير والحائط .

وقال الصلاح الصفدى^(١) : كان الشاذلى ضريرا ، وهو رجل كبير القدر .
كثير الكلام ، على المقام ، له نظم ونثر ، فيه متشابهات وعبارات يتكلف له
فى الاعتذار عنها .

قلت : لم يولد ضريرا ، وإنما أصيب فى أثناء أيامه بالماء فغشى على بصره .
وقيل لأبى الحسن : ما على وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس
الشيخ عز الدين بن عبد السلام . وما على وجه الأرض مجلس فى الحديث أبهى من

(١) هو العلامة المؤرخ الأديب الفقيه المتفنن أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى
المصرى كاتب الانشاء بالدولة المصرية بمصر ودمشق وحلب . وكانت له دروس جامعة بالجامع الأموى
وله مؤلفات كثيرة جيدة . توفى بدمشق فى شوال سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) .

مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذرى . وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسه .

وقد أخذ عنه فى مصر وصحبه جماعة لا يكادون يحصرون . نذكر منهم الشيخ مكين الدين الأسمر ، والشيخ القبارى^(١) ، والشيخ عبد الحكيم ، والشيخ شرف الدين البونى ، والشيخ عبد الله اللقانى ، والشيخ عثمان التوريجى ، والشيخ أمين الدين جبريل ، وغيرهم كثيرون .

وكان فوق ما وهبه الله من جلائل المزايا ومحاسن الخلال ؛ كريم الأخلاق ، واسع المروءة ، جوادا بما يملك ، كثير العطف على الناس جميعا ، لا فرق عنده بين المسلم وغير المسلم ، كثير السعى فى مصالح الخلق ، ذا جاه عظيم عند الأمراء والعظماء وذوى الجاه ، مقبول الشفاعة لديهم .

أصاب بعض من عنده رمد فاستدعى كحالا يهوديا لمداواة ذلك المريض ، فقال له اليهودى : لا أستطيع أن أعالج ؛ فإنه جاء مرسوم من القاهرة أن لا يداوى أحد من الأطباء إلا بإذن من مُشارف الطب بالقاهرة . فلما خرج اليهودى قال الشيخ لخدمته : هيثوا أسباب السفر . وسافر من وقته إلى القاهرة ، ثم حضر

(١) هو الشيخ الصالح أبو القاسم محمد بن منصور بن يحيى (القبارى) المالكي الإسكندراني ، كان معروفا بالزهد والورع ، شديد الردع للولاة عن الظلم ، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر . وكان له غبط يقيم فيه ويزرعو ويعمل فيه بسده ويقنات منه ، ويطعم الناس من ثماره . وكان الولاة يسمعون كلامه ويطيعونه لصدق لمجته وكمال زهده . وكان يكلم الناس من طاقة منزله وهم مسرورون بذلك راضون عنه . يحكى أنه باع دابة له من رجل فلما كان بعد أيام جاء إليه الرجل وقال له : ياسيدى إن الدابة التى اشتريتها منك لانا كل عندى شيئا . فنظر إليه الشيخ وقال له : ماذا تعانى من الأسباب ؟ فقال : إني رقاص عند الوالى . فقال له : إن دابتنا لانا كل الحرام . ثم دخل منزله وأعطاه دراهمه ومعها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز . فكان الناس يشتررون من الرقاص كل درهم بثلاثة لأجل البركة . وأخذ دابته . ولما توفى ترك من الأساس ما يساوى خمسين درهما فبيع بعشرين ألفا . وكانت وفاته بظاهر الإسكندرية عن خمس وسبعين سنة فى ٦ شعبان سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) . وقد ألف ناصر الدين بن المنير كتابا فى ترجمته . وكان مسجده صغيرا بحدوده ووسعه المرحوم محمد سعيد باشا فى عهد ولايته على مصر . وقبره فيه يقصد للزيارة والذكر .

إلى الإسكندرية والإذن في يده، ولم يبت بها ليلة واحدة - كما قيل - ثم دعا اليهودى وأمره بالعلاج ، وأخرج له الإذن . فأكثر اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم . ثم أخذ في شأنه .

وكان من صفته أنه آدم اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين ، كأنه حجازى ، مع فصاحة اللسان ، وعذوبة الكلام . وكان يلبس فاخر الثياب ، وبركب فاره الدواب ، ويتخذ الخيل الجياد . وكذلك كان تلميذه أبو العباس ؛ فقد كان كل منهما لا يعجبه لبس الزى الذى اصطلح عليه الفقراء ، ولا المرقعات التى يتدثر بها أهل الطريق . لأن هذا اللباس فى رأيهما ينادى على صاحبه : أنا الفقير فاعطونى شيئا ، وينادى على سر الفقير بالإفشاء . فن لبس الزى واتخذ المرقعة فقد ادعى .

وكان كلامه لا يزال متجها نحو العقل الأكبر ، والروح الأنور ، والقلم الأعلى ، والقدس الأبهى ، والإسم الأعظم ، والكبريت الأحمر ، والياقوت الأزهر ، والأسماء ، والحروف ، والدوائر ، ومقامات الأولياء الموقنين ، والأملاك المقربين ، وعلوم الأسرار ، وأمداد الأذكار ، ويوم المقادير ، وشأن التدبير ، وعلم البدء ، وعلم المشيئة ، وشأن القبضة ، ورجال القبضة ، وعلوم الأفراد ، وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله مع عباده من حلمه وإنعامه ، ووجوه انتقامه .

وما زال قائما بأمر الله ، مضطلعا بالدعوة إلى الله ، وإذاعة مبادئه العالية ، وتعاليمه السامية ، مهذبا للنفوس ، مقوما للأخلاق ، مقصودا بالزيارة من مختلف البلدان . والعلماء والطلاب مقبلون عليه أينما حل وحيثما رحل ، ويتلقون عنه برغبة صادقة ، وهمة فائقة ، إلى أن كانت سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . إذ اعتزم الحج إلى بيت الله الحرام ، فصحب معه جماعة من أئدانه وعلى رأسهم الشيخ أبو العباس المرسى ، والشيخ أبو العزائم ماضى خادمه الخاص . فلما توسط بأصحابه الطريق من صحراء عيذاب مرض مرضا شديدا انتقل بعده إلى رحمة الله تعالى .

قال ابن بطوطة : أخبرني الشيخ ياقوت العرشي عن شيخه أبي العباس المرسي أن أبا الحسن كان يهيج في كل سنة، ويعمل طريقه على صعيد مصر، ويحاور بمكة شهر رجب وما بعده إلى انتضاء الحج، ويؤود القبر الشريف ويؤود على الدرب الكبير إلى بلده. فلما كان في بعض السنين، وهي آخر سنة خرج فيها، قال تلميذه : استصحب فأنا وقفة وحنوطا وما يجهز به الميت ؟ فقال له : ولماذا يا سيدي ؟ فقال له : في حبيثا، سوف ترى !

فلما بلغ حبيثا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك . قال ابن بطوطة : وقد زرت قبره وعليه قبرة مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا بالحسن بن علي رضي الله عنهما .

وكان الشيخ بدر الدين بن جماعة، يرى أنه في بركة الشيخ أبي الحسن في مصر. وكان يفتخر بصحبته، ويحضر جنازته، والصلاة عليه بحبيثا .

ولما توفي الشيخ، قام أصحابه وعلى رأسهم الشيخ أبو العباس تجهيزه والصلاة عليه ومواراته التراب في قبره، الذي لا يزال معروفًا به إلى هذه الناية وهي سنة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م)، وللعرب هناك عناية به، واعتقاد فيه. وهم يقيمون له في كل سنة مولدا حافلا . عليه رحمة الله ورضوانه .

وقد انتشرت طريقته الشاذلية في جميع الأقطار الإسلامية . وهي مستمدة من منابع الشريعة، ممزوجة بروح الحقيقة .

- (١) قال ابن بطوطة : وحبيثا في صعيد مصر في صحراء عذاب، وبها عين زقاق، وهي كثيرة الضباع .
- (٢) هو قاضي القضاة الشيخ الأجل بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ابن جماعة) الكائن الحوى الشافعي . ولد بحماة في سنة ٦٣٩ هـ . وكان عمره يوم وفاة الشيخ أبي الحسن ١٧ سنة . طال عمره وتقلب في عدة مناصب في الدولة المصرية بين خطابة وتدريس وقضاء وإفتاء بالشام ومصر . وكان قوي المشاركة في علوم عدة من تفسير وحديث وأصول وفقه، مع التقوى والورع والنهوض بأعباء مناصبه بالهمة والصدق، وكان على بلاغة وحسن بيان وارتجال للخطب الباردة بالأسلوب الحسن . وله تصانيف جيدة في الأحكام وعلوم الحديث ورسالة في الكلام على الأسطرلاب . وكانت وفاته في سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) . كما في حسن المحاضرة، وقد أخرج ابن شاكر وفاته في سنة ٧٧٣ هـ . والأول أصح .

وقد أجمع كثير من المؤرخين الذين عاصروه أو دونوا أخباره، على أنه لم يؤلف كتاباً قط . غير أن الصلاح الصفدى قد شذ عن ذلك وزعم أنه كانت له مصنفات . قلت : وقد ظهرت بعد وفاته بزمن بعض الكتب منسوبة إليه . والمتبادر أن بعض أصحابه تلقوها عنه ونشرها من بعدهم بعض المريدين . فها وقفت عليه منها : ”رسالة السراج الجليل ، فى خواص حسبنا الله ونعم الوكيل“ ، و ”حزب البر“ و ”حزب البحر“ و ”حزب النور“ و ”الأذكار العلية والأسرار الشاذلية“ و ”رسالة فى التصوف“ و ”الحزب الكبير“ . قال الصلاح الصفدى : وللشيخ تقي الدين ابن تيمية مصنف فى الرد على ما قاله الشاذلى فى حزبه . قلت : وللعلامة السيد محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس شرح كبير على هذا الحزب سماه ”تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير“ .

وعليه أيضاً شرح للعلامة ابن ماخلأ^(١) ، سماه ”اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية“ وله غير ذلك أحزاب وأوراد وأدعية حسنة .

وللشيخ الحافظ شمس الدين الذهبى^(٢) ، ملاحظات على بعض ما جاء فى هذه المصنفات المنسوبة إليه .

(١) هو الشيخ الامام داود بن عمر الكهارى (ابن ماخلأ) المالكى الإسكندرى الشاذلى . كان من أئمة فقهاء المالكية . وقد كان حاجباً بالمحكمة الشرعية ثم صار كاتب جلسة ، وكان يدرس بجامع العطارين ، وله مؤلفات حسنة . توفى بالإسكندرية سنة ٥٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) . ودفن فى قبر أقام عليه مريدوه زاوية بشارع تاج الدين العادلى ، وهى معروفة عند عوام أهل الاسكندرية بزاوية سيدى داود الباخل .

(٢) هو الحافظ الجليل الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى الدمشقى الشافعى . كان علامة زمانه فى الحديث ونقد الرجال . وله فى ذلك المصنفات النافعة ، وله فى التاريخ كتاب كبير هو ”تاريخ الإسلام“ . كان مولده بدمشق سنة ٦٧٣ هـ . وتوفى بمصر سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) .

المأثور من نفيس كلامه

وللشيخ أبي الحسن كلام جيد في إشاراته ، حسن في عباراته ، اتّرع من أصول الحقيقة ، وصار دستوراً لأهل الطريقة ، رست أصوله في الشريعة ، وسمّقت فروعه فكانت إلى الحق ذريعة ، وهى تفائس ودرر ، ومواعظ وعبر . وإليك ما اخترته منها :

قال رحمه الله تعالى :

١ - عليك بالاستغفار وإن لم يكن هناك ذنب ، واعتبر باستغفار النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر . هذا في معصوم لم يقترف ذنباً قط ، وتقّس عن ذلك ، فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب والذنب في وقت من الأوقات .

٢ - إذا عارض كشفك الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ، ولم يضمّنهما لى فى جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة . مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغى العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة ، إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

٣ - إذا جاذبتك هواتف الحق ، فإياك أن تستشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبات وتردّها ، فتكون من الجاهلين ، واحذر أن تدخل فى شىء من ذلك بالعقل .

٤ - إذا عرض لك عارض يصدك عن الله فاثبت . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

٥ - كل علم تسبق إليك فيه الخواطر ، وتميل إليه النفس ، وتلتذ به الطبيعة ، فارم به وإن كان حقاً . وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله ، وأقتد به وبالحلفاء والصحابة والتابعين من بعده ، وبالأئمة الهداة المبرّئين عن الهوى ومتابعته . تسلم

من الشكوك، والظنون، والأوهام، والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه .
وماذا عليك أن تكون عبد الله ولا علم ولا عمل ! وحسبك من العلم العلم بالوحدانية .
ومن العمل محبة الله ، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومحبة الصحابة ، واعتقاد
الحق للجماعة . قال رجل : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ قال : لا شيء
إلا أنى أحب الله ورسوله ! فقال : المرء مع من أحب .

٦ — إذا كثرت عليك الخواطر والوساوس فقل : سبحان الملك الخلاق :
(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) .

٧ — لا تجمد الروح والمبدد ، ويصح لك مقام الرجال ، حتى لا يبقى في قلبك
تعلق بعلمك ولا جدك ولا اجتهدك ، وتيأس من الكل دون الله تعالى .

٨ — من أحصن الحصون من وقوع البلاء على المعاصي ، الاستغفار . قال الله
تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

٩ — إذا ثقل الذكر على لسانك ، وكثر اللغو في مقالك ، وانبسطت الجوارح
في شهواتك ، وانسد باب الفكرة في مصالحك ، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك ،
أو لكون إرادة النفاق في قلبك ؛ وليس لك طريق إلا الطريق والإصلاح
والاعتصام بالله ، والإخلاص في دين الله تعالى ، ألم تسمع إلى قوله تعالى :
(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوَائِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) .
ولم يقل : من المؤمنين . فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها .

١٠ — إرجع عن منازعة ربك تكن موحدا ، واعمل بأركان الشرع تكن سنيا ،
واجمع بينهما تكن محققا .

١١ — من أحب أن لا يُعصى الله في مملكته ، فقد أحب أن لا تظهر مغفرته
ورحمته ، وأن لا يكون لنبه صلى الله عليه وسلم شفاعاة .

١٢ — أسباب القبض ثلاثة : ذنب أحدثته ، أو دنيا ذهبت عنك ،
أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك ؛ فإن كنت أذنبت فاستغفر الله ، وإن

كنت ذهبت عنك الدنيا فارجع إلى ربك ، وإن كنت ظلمت فاصبر واحتمل .
هذا دواؤك . وإن لم يطلعك الله تعالى على سبب القبض ، فاسكن تحت جريان
الأقدار ، فإنها سحابة سائرة .

١٣ — الشيخ من ذلك على الراحة ، لا من ذلك على التعب .

١٤ — من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو يذعى .

١٥ — من آداب المجالس للأكابر ، التخلي عن الأضداد ، والميل والمحبة
والانخساص لهم ، وترك التجسس على عقائدهم .

١٦ — إذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة والروايات
الصحيحة : إما أن تفيدهم ، وإما أن تستفيد منهم . وذلك غاية الربح منهم . وإذا
جالست العباد والزهاد فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة ، وحلّ لهم ما استرؤوه ،
وسهل عليهم ما استوعروه ، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه . وإذا جالست
الصديقين ففارق ما تعلم ، تظفر بالعلم المكنون .

١٧ — إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تعباً به .

١٨ — من غلب عليه شهود الإرادة تفسخت عزائمه لسرعة المراء وكثرته
واختلاف أنواعه ، وأى وقفة تسعه حتى يحل أو يعقد أو يعزم أو ينوى شيئاً من
أمره؟ مع تعدد إراداته ، واضمحلال صفاته؟ أين أنت من نور من نظر واتسع نظره
بنور ربه ، ولم يشغله المنظور إليه عن نظره . فقال : « ما من شيء كان أو يكون
إلا وقد رأيت » (الحديث) .

١٩ — إذا استحسنتم شيئاً من أحوالك الباطنة أو الظاهرة وخفت زواله
فقل (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) .

٢٠ — ورد المحققين إسقاط الهوى ومحبة المولى . أبت المحبة أن تستعمل محبة
غير محبوبه . وأخرى : ورد المحققين رد النفس بالحق عن الباطل في عموم الأوقات .

٢١ — لا يتم للعالم سلوك طريق القوم إلا بصحبة أخ صالح، أو شيخ ناصح.
٢٢ — لا تؤخر طاعات وقت لوقت آخر. فتعاقب بفواتها أو فوات غيرها أو مثلها، جزاء لما ضُيع من ذلك الوقت. فان لكل وقت سهمًا. فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية. وأما تأخير عمر رضى الله عنه الوتر إلى آخر الليل، فتلك عادة جارية، وسنة ثابتة، ألزمه الله تعالى إياها مع المحافظة عليها. وأنتى لك بها مع الميل إلى الراحة، والركون إلى الشهوات، والغفلة عن المشاهدات؟! فهيئات هيئات هيئات!

٢٣ — من أراد عز الدارين. فليدخل في مذهبنا يومين. فقال له القائل: كيف لى بذلك؟ فقال: فترق الأصنام عن قلبك، وأرح من الدنيا بدنك. ثم كن كيف شئت. فإن الله تعالى لا يعذب العبد على مدّ رجله مع استصحاب التواضع، للاستراحة من التعب، وإنما يعذبه على تعب يصحبه التكبر.

٢٤ — ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

٢٥ — من لم يزدد بعلمه عمله افتقارا إلى ربه، وتواضعا لخلقه، فهو هالك.

٢٦ — سبحانه من قطع كثيرا من أهل الصلاح عن مصلحتهم، كما قطع المفسدين عن موجدتهم.

٢٧ — إلزم جماعة المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين. وأقم عليهم الحدود وأجرهم لهم رحمة بهم، لا تعززا عليهم وتقريعا لهم.

٢٨ — كل من طعام فسقة المسلمين، ولا تأكل من طعام رهبان المشركين، وانظر إلى الحجر الأسود فإنه ما سَوَّدَ إلا من مَسَّ أيدي المشركين دون المسلمين^(١).

(١) هذه الكلمة تنظر إلى قول الجاحظ وهو يتد بالخشوية من المحدثين حيث ذكر الحجر الأسود فقال: إنه كان أبيض فسَوَّده المشركون، وكان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا...؟!؟

٢٩ - سمعت هاتفا يقول : كم تدندن مع من يدندن وأنا السميع القريب ،
وتعريفى يغنيك عن علم الأولين والآخرين ، ما عدا علم الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وعلم النبيين عليهم الصلاة والسلام .

٣٠ - وقيل له مرة : من شيخك ؟ فقال : كنت أنتسب إلى الشيخ
عبد السلام بن مشيش ، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد . بل أعوم في عشرة أبحر :
نحسة سماوية ، ونحسة أرضية .

٣١ - من علم اليقين بالله تعالى ، وبمالك عند الله تعالى : أن تتعاطى من الخلق
ما لا تصغُر به عند الحق تعالى مما تكرهه النفوس القوية ، كحمل متاعك من السوق ،
وجمع الحطب للطعام وجعله على رأسك ، والمشى مع زوجتك إلى السوق في حاجة
من حوائجها ، وركوبك خلفها على الحمار وغيره . وأما ما تصغُر به في عين الخلق
مما للشرع عليه اعتراض ، فليس من علم اليقين . فلا ينبغي لك ارتكابه .

٣٢ - الصادق الموقن ، لو كذبه أهل الأرض لم يزد بذلك إلا تمكيناً .

٣٣ - ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة . فن أعطيهما
وجعل يشاق إلى غيرهما ، فهو عبد مفتر كذاب ، أو ذو خطأ في العلم بالصواب .
كن أكرم بشهود الملك ، فاشاق إلى سياسة الدواب .

٣٤ - كل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله ، والمحبة لله ومن الله ،
فصاحبها مُستدرَج مغرور . أو ناقص هالك مشبور .

٣٥ - سمعت هاتفا يقول : إن أردت كرامتي فعليك بطاعتي ، وبالإعراض
عن معصيتي .

٣٦ - لا تركز إلى علم ولا مدد ، وكن بالله ، واحذر أن تنشر علمك ليصدقك
الناس ، وانشر علمك ليصدقك الله تعالى .

٣٧ - العلوم على القلوب كالدرهم والدنانير في الأيدي ، إن شاء الله تعالى
ففعك بها ، وإن شاء ضرك .

٣٨ — من أقبل على الخلق الإقبال الكلي قبل بلوغ درجات الكمال ، سقط من عين الله تعالى . فاحذروا هذا الداء العظيم ، فقد تعلق به خلق كثير ، وقنعوا بالشهرة وتقبيل اليد . فاعتصموا بالله يهدكم الله الطريق المستقيم .

٣٩ — من الشهوة الخفية للولى إرادته النصرة على من ظلمه . قال تعالى للعصوم الأكبر : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ . أى فإن الله تعالى قد لا يشاء إهلاكمهم .

٤٠ — إذا أردت الوصول إلى الطريق التى لا لوم فيها ، فليكن الفرق فى لسانك موجودا ، والجمع فى شرك مشهودا .

٤١ — كل إسم تُستدعى به نعمة ، أو تُستكفى به نقمة ، فهو حجاب عن الذات ، وعن التوحيد بالصفات ، وهذا لأهل المراتب والمقامات . وأما عوام المؤمنين فهم عن ذلك معزولون ، وإلى حدودهم يرجعون ، ومن أجورهم من الله لا يُخسُون .

٤٢ — لو علم نوح عليه السلام ، أن فى أصلاب قومه من يأتى يوحد الله عز وجل ، ما دعا عليهم . ولكن قال : « أَللّٰهُمَّ آغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكل منهما على علم وبينته من الله تعالى .

٤٣ — لا أجر لمن أخذ الأجر والرشا على الصلاة والصيام ، وتنعم بمطامح تلك الأبصار ، عند إطراق الرؤوس والاشتغال بالأذكار . وجناية هؤلاء بالإضافة ورؤية الطاعات . أكثر من جنايتهم بالمعاصى وكثرة المخالفات . وحسبهم ما يظهر عليهم من الطاعات ، وإجابة الدعوات ، والمسارة إلى الخيرات . ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى ممن تعلق إليه فى الأسفار بالطاعات ليطلب مسرته بذلك . قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ .

٤٤ — إذا أهان الله عبدا كشف له حظوظ نفسه ، وستر عنه عيوب دينه . فهو يتقلب فى شهواته حتى يهلك ولا يشعر .

٤٥ — من الأولياء من يسكر من شهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً . فما ظنك بعد ذوق الشراب ، وبعْدَ الرّى . واعلم أن الرى - قل من يفهم المراد به ، فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال . وأما الشرب فهو سُقيا القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر . وأما الكأس فهو معرفة الحق التي يعرف بها من ذلك الشراب الطهور المخلص الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين . فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة ، وتارة يشهدا معنوية ، وتارة يشهدا علمية . فالصورة حظ الأبدان والأنفس ، والمعنوية حظ القلوب والعقول ، والعلمية حظ الأرواح والأسرار . فياله من شراب ما أعذبه ، فطوبى لمن شرب منه .

٤٦ — إياك والوقوع في المعصية المرة بعد المرة ، فإن من تعدّى حدود الله فهو الظالم ، والظالم لا يكون إماماً . ومن ترك المعاصي وصبر على ما ابتلاه الله ، وأيقن بوعد الله ووعيده ، فهو الإمام ، وإن قلت أتباعه .

٤٧ — مرید واحد يصلح أن يكون محلاً لوضع أسرارك ، خير من ألف مرید لا يكون محلاً لوضع أسرارك .

٤٨ — إننا ننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإيقان ، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان ، وصرنا نستدل به تعالى على الخلق ، هل في الوجود شيء سوى الملك المعبود الحق ؟ فلا تراه . وإن كان ولا بد من رؤيتهم فتراهم كالهباء في الهواء ، إن مستتهم لم تجد شيئاً .

٤٩ — إذا آمتلأ القلب بأنوار الله تعالى عميت بصيرته عن المناقص والمذام المقيدة في عباده المؤمنين .

٥٠ — ذهب العمى وجاء البصر : بمعنى . فانظر إلى الله تعالى فهو لك مأوى ، فإن تنظر فيه ، وإن تسمع منه ، وإن تنطق فعنه ، وإن تكن فعنده ، وإن لم تكن فلا شيء غيره .

٥١ — البصيرة كالبصر ، أدنى شيء يقع فيه يعطل النظر ، وإن لم ينته الأمر إلى العمى . فالخطرة من صفات الشر تشوش نظر البصيرة ، وتكدر الفكرة والإرادة ، وتذهب بالخير رأسا . والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام ، فإن استمر على الشر تفلت منه الإسلام سهما سهما ، فإذا انتهى إلى الوقعة في العلماء والصالحين ، وموالاته الظالمين ، حبا للجاه والمنزلة عندهم ، فقد تفلت منه الإسلام كله ، ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا ، فإنه لا روح له ، فإن روح الإسلام حب الله ورسوله ، وحب الآخرة ، والصالحين من عباده .

٥٢ — التصوّف تدريب النفس على العبودية ، وردّها لأحكام الربوبية .

٥٣ — من ادّعى فتح عين قلبه وهو يتصنع بطاعة الله ، أو يطمع فيما في أيدي خلق الله تعالى فهو كاذب .

٥٤ — الصوفي يرى وجوده كالهباء في الهواء ، غير موجود ولا معدوم . حسبما هو عليه في علم الله .

٥٥ — الحقائق هي المعاني القائمة في القلوب ، وما آنضح لها وانكشف من الغيوب ، وهي منحة من الله تعالى وكرامات ، وبها وصلوا إلى البر والطاعات . ودليلها قوله لحارثة : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا (الحديث) .

٥٦ — من تحقق الوجود فنّى عن كل موجود ، ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود .

٥٧ — حقيقة زوال الهوى من القلب ، حب لقاء الله تعالى في كل نفس ، من غير اختيار حالة يكون المرء عليها .

٥٨ — لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقى معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته .

٥٩ — الأولياء يغنون عن كل شيء بالله تعالى ، وليس لهم معه تدبير ولا اختيار ، والعلماء يدبرون ويختارون وينظرون ويقتبسون ، وهم مع عقولهم وأوصالهم دائمون . والصالحون — وإن كانت أجسادهم معرّسة — ففى أسرارهم الكرازة والمنازعة .

ولا يصلح شرح أحوالهم إلا لولى في نهايته . فحسبك ما ظهر من صلاحهم ، واكتف به عن شر ما بطن من أحوالهم .

٦٠ — لا تختار من الأمر شيئاً ، واختر أن لا تختار ، وفر من ذلك المختار فرارك من كل شيء إلى الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ . وكل مختارات الشرع وترتيباته فهي مختار الله . ليس لك منه شيء ، ولا بد لك منه ، واسمع وأطع . وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي ، وهو أرض لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى . فافهم .

٦١ — لا ترق قبل أن يرقى بك فتزل قدمك .

٦٢ — أشقى الناس من يعترض على مولاه ، وأركس في تدبير دنياه ، ونسى المبدأ والمنتهى والعمل لأنحراه .

٦٣ — مراكز النفس أربعة : مركز للشهوة في المخالفات ، ومركز للشهوة في الطاعات ، ومركز في الميل إلى الراحة ، ومركز في العجز عن أداء المفروضات : ﴿ فَأَقْتُلُوا الشِّرْكَينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَرْصَدٌ ﴾ .

٦٤ — إن من أعظم القربات عند الله تعالى مفارقة النفس بقطع إرادتها ، وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها .

٦٥ — إن من أشقى الناس من يجب أن يعامله الناس بكل ما يريد ، وهو لا يجحد من نفسه بعض ما يريد . طالب نفسك باكرامك لهم ، ولا تطالبهم باكرامهم لك . ﴿ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسُكَ ﴾ .

٦٦ — قد يئست من منفعة نفسى لنفسى ، فكيف لا أياس من منفعة غيرى لنفسى ، ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى .

٦٧ — إذا أردت أن لا يصدأ لك قلب ، ولا يلحقك هم ولا كرب ، ولا يبقى عليك ذنب ، فأكثر من قول : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، لا إله إلا الله ، اللهم ثبت علمها في قلبي ، وأغفر لي ذنبي .

٦٨ — لا كبيرة عندنا أكبر من اثنين : حب الدنيا بالإيثار، والمقام على الجهل بالرضا؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمقام على الجهل أصل كل معصية .
٦٩ — إذا أردت أن تصح على يديك الكيمياء فاسقط الخلق من قلبك ، واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ما سبق لك ، ثم امسك ماشئت يكن كما تريد .
٧٠ — إذا أردت أن تكون مرتبطاً بالحق ، فترأ من نفسك ، وانخرج عن حولك وقوتك .

٧١ — إذا أردت الصدق في القول ، فأكثر من قراءة : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ . وإن أردت الإخلاص في جميع أحوالك ، فأكثر من قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ . وإن أردت السلامة من الشر فأكثر من قراءة : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ .
٧٢ — أربع لا ينفع معهم علم : حب الدنيا ، ونسيان الآخرة ، وخوف الفقر ، وخوف الناس .

٧٣ — أصدق الأقوال عند الله تعالى قول : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ على النظافة ، وأدل الأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا ، واليأس من أهلها على الموافقة .
٧٤ — لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها ، وتتحل أعضاؤك لها . فترجع لمعاتقتها بعد الخروج منها بالهمة ، أو بالفكرة ، أو بالإرادة ، أو بالحركة .
٧٥ — لا تقوى لمحبة الدنيا ، إنما التقوى لمن أعرض عنها .

٧٦ — إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا أو الآخرة فقل : يا قوى يا عزيز ، يا عليم يا قدير ، يا سميع يا بصير .

٧٧ — إذا ورد عليك مزید من الدنيا أو الآخرة فقل : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ .

٧٨ — خصلة واحدة إذا فعلها العبد صار إمام الناس من أهل عصره ، وهي : الإعراض عن الدنيا ، واحتمال الأذى من أهلها .

٧٩ — إذا تداين أحدكم فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى ويتداين على الله تعالى ، فإن كل ما تداينه العبد على الله تعالى ، فعلى الله أدائه .

٨٠ — إذا عارضك عارض من معلوم هُوك ، فاهرب إلى الله منه هروبك من النار . وهذه غرائب علوم المعرفة في علوم المعاملة .

٨١ — وكان إذا تداين يقول : اللهم عليك تداينت ، وعليك توكلت ، وإليك أمرى فوضت .

٨٢ — خصلة واحدة تحبط الأعمال ، ولا يتنبه لها كثير من الناس ، وهي سخط العبد على قضاء الله تعالى . قال تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَعْجَبَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

٨٣ — لا يترك منازعة الناس في الدنيا إلا المؤمن بالقسمة .

٨٤ — رأيت في النوم صائحا يصبح في جوف السماء : إنما تساق لرزقك ، أولأجلك ، أو لما يقضى به الله عليك ، أو بك ، أولك . وهي خمسة لاسادس لها .

٨٥ — كل حسنة لا تثمر نورا أو علما في الوقت ، فلا تعد لها أجرا . وكل سيئة أثمرت خوفا من الله تعالى ورجوعا إليه ، فلا تعد لها وزرا .

٨٦ — حسنتان لا تضر معهما كثرة السيئات : الرضا بقضاء الله ، والصفح عن عباد الله .

٨٧ — إياك أن تقف مع الخلق ! بل أقف المضار والمنافع عنهم ، لأنها ليست منهم ، واشهدا من الله فيهم . وفتر إلى الله منهم بشهود القدر الجارى عليك وعليهم ، أولك ولهم . ولا تحف خوفا تغفل به عن الله تعالى ، وترد القدر اليهم تهلك .

٨٨ — من فارق المعاصي في ظاهره ، ونبذ حب الدنيا من باطنه ، ولزم حفظ جوارحه ومراعاة سره ، أنه الزوائد من ربه ، ووكل به حارسا يحرسه من عنده ، وأخذ الله بيده خفضا ورفعا ، في جميع أموره . والزوائد هي : زوائد العلم واليقين والمعرفة .

٨٩ — لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصي إلا إن كانت لم تخطر له على بال ، فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور . هذا في حق الكاملين . فإن لم يكن كذلك فليهجرج على المكابدة والمجاهدة .

٩٠ — لا يترشح العبد عن النار إلا إن كف جوارحه عن معصية الله ، وتزين بحفظ أمانة الله ، وفتح قلبه لمشاهدة الله ، ولسانه وسره لمناجاة الله ، ورفع الحجاب بينه وبين صفات الله ، وأشهده الله تعالى أرواح كلماته .

٩١ — الغل هو ربط القلب على الخيانة ، والمكر ، والخديعة . والحق هو شدة ربط القلب على الخيانة المذكورة .

٩٢ — إتق الله في الفاحشة جملة وتفصيلا ، وفي الميل إلى الدنيا صورة وتمثيلا .

٩٣ — عقوبة ارتكاب المحرمات بالعذاب . وعقوبة أهل الطاعة بالحباب ، لما يقع لهم فيها من سوء الآداب . وعقوبة المراكات ترك المزيد . وعقوبة القلق والاستعجال هلاك السر .

٩٤ — من أعترض على أحوال الرجال فلا بد أن يموت قبل أجله ثلاث موتات أخر : موت بالذل ، وموت بالفقر ، وموت بالحاجة إلى الناس . ثم لا يجد من يرحمه منهم .

٩٥ — من النفاق : التظاهر بفعل السنة ، والله يعلم منه غير ذلك . ومن الشرك بالله : إتخاذ الأولياء والشفعاء من دون الله . قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

٩٦ — من شفع طلبا للجهاد والمنزلة ، أو لعرض الدنيا ، عذبه الله على ذلك . ويتوب الله على من يشاء .

٩٧ — من سوء الظن بالله أن يستنصر لغير الله . من الخلق . قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ .

٩٨ - أوصاني أستاذي رحمه الله تعالى فقال : حدّد بصر الإيمان تجدد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وفوق كل شيء ، وقريبا من كل شيء ، ومحيطا بكل شيء : بقرب هو وصفه ، وبإحاطة هي نعتة . وعدّ عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهاث ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، واحقّ الكل بوصفه الأول والآخروالظاهر والباطن . كان الله ولا شيء معه .

٩٩ - من غفل قلبه اتخذ دينه هزوا . ومن اشتغل بالخلق اتخذ دينه لعبا .

١٠٠ - إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق ، فكيف بغيره ؟

١٠١ - الكاملون حاملون لأوصاف الحق ، وحاملون لأوصاف الخلق ؛

فإن رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر ، وإن رأيتهم من حيث الحق ، رأيت أوصاف الحق التي زينهم بها . فظاهرهم الفقر ، وباطنهم الغنى . تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ . أفتراه أغناه بالمال ؟ كلا . وقد شدّ الحجر على بطنه من شدة الجوع ، وأطعم الجيش كله من صاع ، وخرج من مكة على قدبيه ليس معه شيء يأكله ذوكبد إلا شيء يواريه إبط بلال .

١٠٢ - العلوم التي وقع الشناء على أهلها ، وإن جلت ، فهي ظلمة في علوم أهل

التحقيق . وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات ، وغموض الصفات ، فكانوا هناك يَلَاهُم . وهم الخاصة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم . فلهم فيها نصيب على قدر إرثهم من موزّتهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » يقومون مقامهم على سبيل العلم والحكمة ، لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال . فإن مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم .

١٠٣ - كل وارث في المتزلة الموروثة لا يكون إلا بقدر موزّته فقط . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ . فكما فضل بعضهم على بعض ، كذلك فضل

بعض ورثتهم على بعض . إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق ، وكل عين يشهد منها على قدرها ، وكل ولى له مادة مخصوصة .

١٠٤ — الأولياء على ضربين : صالحون ، وصديقون . فالصالحون أبدال الأنبياء ، والصديقون أبدال الرسل . فبين الصالحين والصديقين فى التفضيل ، كما بين الأنبياء والمرسلين . منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشهدونها عين يقين ، وهم قليلون ، وفى التحقيق كثيرون . ومادة كل نبى وكل ولى بالاصالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن من الأولياء من يشهد عينه ، ومنهم من تخفى عليه عينه ومادته . فيفنى فيما يرد عليه ولا يشتغل بطلب مادته . بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته . ومنهم طائفة مُدَوِّا بالنور الإلهى فنظروا به . عرفوا من هم على التحقيق . وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلا من ينكر كرامات الأولياء . فنعوذ بالله من النكران بعد العرفان .

١٠٥ — أول منزل يطؤه المحب للترقى منه إلى العلا : النفس . فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها ، أشرقت عليه أنوار المنزل الثانى ، وهو : القلب . فإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم يبق منه عليه شىء ، أشرقت عليه أنوار المنزل الثالث ، وهو : الروح . فإذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفة هبت عليه أنوار اليقين شيئا فشيئا إلى تمام نهاياته . وهذه طريق العامة . وأما طريق الخاصة فهى طريق مسلك ، تضحل العقول فى أقل القليل من شرحها .

١٠٦ — من أمدّه الله تعالى بنور العقل الأصيل ، شهد موجودا لا حد له ولا غاية ، بالإضافة إلى هذا العبد ، واضمحلت جميع الكائنات فيه ؛ فتارة يشهد فيها كما يشهد البناء بنية فى الهواء بواسطة نور الشمس . وتارة لا يشهد فيها لانحراف نور الشمس عن الكوة . فالشمس التى يبصر بها هو : العقل الضرورى بعد المادة بنور اليقين . وإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الموجود . فتارة يفنى وتارة يبقى ، حتى إذا أريد به الكمال نودى فيه نداء خفيا ، لا صوت له فيمدّ بالفهم عنه : ألا إن الذى يشهده غير الله تعالى ، ليس من الله فى شىء .

فهناك ينتبه من سكراته فيقول : يارب شتني وإلا فأنا هالك . فيعلم يقينا أن هذا البحر لا ينجيه منه إلا الله عز وجل ، فحينئذ يقال له : إن هذا الموجود هو العقل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما خلق الله العقل » . فأعطى هذا العبد الذل والانقياد لنور هذا الموجود . إذ لا يقدر على حده وذايته . فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه ، قطع ذلك كلبصير ، أو كما شاء الله تعالى : (تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ) .

ثم أمد الله تعالى بنور الروح الرباني ، فعرف هذا الموجود ، فرقى إلى ميدان الروح الرباني ، فذهب بجميع ما تحلى به هذا العبد ، وما تحلى عنه بالضرورة ، وبقي كلاً موجود . ثم أحياء الله بنور صفاته ، فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني . فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول : هو الله . فاذا لحقته العناية الأزلية نادته . ألا إن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه ، ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله . لكن بنور غيره يعرفه .

فإذا أمد الله بنور سر الروح ، وجد نفسه جالسا على باب ميدان السر . فرفع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر ، فعصى عن إدراكه ، فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء .

فإذا أمد الله تعالى بنور ذاته ، أحياء حياة باقية لا عاقبة ولا غاية لها . فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ، ووجد نور الحق شائعا في كل شيء لا يشهد غيره . فنودى من قرب : لا تغتر بالله ، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله ، إذ محال أن يحجبه غيره ، وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه .

ثم قال : أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك . وهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلى الأعلى . وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة . والحمد لله على نعمائه .

وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم . فانه تَرَقُّ منه إليه به ، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره ، فأقول قدم لهم بلا قدم . إذ ألقى عليهم نور ذاته ، فغيبهم بين عبادته وحبب إليهم الخلوات ، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات ، وعظم عندهم رب الأرضين والسموات ، فبينما هم كذلك ، إذ ألبسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هم لا هم . ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم . فصار نظرهم عدما لا علة له . فانطمست جميع العلل ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود ، بل ليس إلا العدم الذي لا علة له . فلا معرفة تتعلق به ، اضمحلت المعلومات ، وزالت الرسومات زوالا لا علة فيه ، وبقي من أشير إليه لا وصف له ولا صفة ولا ذات ، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك ، فلا اسم ولا صفة ولا ذات ؛ فهناك ظهر من لم يزل ظهورا لا علة فيه . بل ظهر بسره لذاته في ذاته ، ظهورا لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته في ذاته . وهناك يحيا العبد بظهوره حياة لا علة لها . وصار أولا في ظهوره ، لا ظاهرا قبله ، فوجدت الأشياء بأوصافه ، وظهرت بنوره في نوره . سبحانه وتعالى . ثم يغطس بعد ذلك في بحر بعد بحر ، إلى أن يصل إلى بحر السر ، فإذا دخل بحر السر غرق غرقا لا خروج له منه أبد الآباد . فإن شاء الله تعالى بعثه نائبا عن النبي صلى الله عليه وسلم يحى به عبادته ، وإن شاء ستره . يفعل في ملكه ما يشاء .

١٠٧ — لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض ، فما ظنك بنور المؤمن المطيع .

١٠٨ — من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت .

١٠٩ — دخل عليه رجل فقير عليه ملابس شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه ، دنا منه ذلك الرجل وأمسك ملبسه وقال : يا سيدي ، ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك ! فأمسك الشيخ ملبسه فوجد خشونته فقال : ولا عبد الله بهذا اللباس الذي عليك ! لباسي يقول أنا غني عنكم فلا تعطوني . ولباسك يقول أنا فقير إليكم فاعطوني .

١١٠ — يَا بُنَيَّ بَرِّدْ الْمَاءَ . فَإِنَّكَ إِذَا شَرَبْتَ الْمَاءَ السَّيْخَنَ فَقُلْتَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ .

تَقُولُهَا بِكَرَازَةٍ . وَإِذَا شَرَبْتَ الْمَاءَ الْبَارِدَ فَقُلْتَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ . اسْتَجَابَ كُلُّ عَضْوٍ
فِيكَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ .



إِلَى هُنَا أَتَيْتُ مِنَ التَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذَلِيِّ : وَمِمَّا آخَرْتُهُ
مِنْ نَفِيسِ كَلَامِهِ . وَالْآنَ أَخَذَ بِحَوْلِ اللَّهِ فِي الْفَرْضِ الْمَقْصُودِ مِنْ وَضْعِ هَذِهِ
الرِّسَالَةِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ بِالشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيِّ سَيِّدِ أَصْحَابِهِ ، وَعِلْمِ أَتْرَابِهِ ،
وَأَفْضَلِ أَنْجَابِهِ . وَسَيَكُونُ هَذَا التَّعْرِيفُ نَحِيطًا شَامِلًا ، وَبَسِيطًا حَافِلًا .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أبو العباس المرسى

التعريف به :

هو الشيخ الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسى البَلَنَسِي . يتصل نسبه بالصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب سقيفة بني ساعدة التي تمت فيها بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة . وكان جده الأعلى قيس بن سعد أميرا على مصر من قبل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وذلك في سنة ٣٦ هـ . (٦٥٦ م) .

مولده ومنشؤه :

كان مولده في "مرسية" سنة ٦١٦ هـ . (١٢١٩ م) ونشأ بها . وهي إحدى مدن الأندلس ، التي اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي من بلاد بلنسية . وإليها نسب أبو العباس ف قيل له "المرسى" . ولما بلغ سنّ التعلم والتلقن دفعه والده إلى مؤدبه ، فأخذ يعلمه القراءة والكتابة والخط والحساب ، ويلقنه كتاب الله الكريم .

والظاهر أنه نشأ في بيئة صالحة فصفت نفسه ، وانطبع روحه على مبادئ التصوف ، فلقد قال عن نفسه : كنت وأنا صبي عند المؤدب جاء رجل فوجدني أكتب في لوح ، فقال : الصوفي لا يسود بياضا ! فقلت : ليس الأمر كما زعمت ! ولكن لا يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب . وقال مرة : عمل إلى جانب

(١) جاء في كتاب الحلال السندسية للأثير شكيب أرسلان فيما نقله عن "دون فيليكس بونسوا سبيريان الأسباني" ، أن مرسية كانت تعرف باللسان الروماني "أرسيلانزس" وبالأسباني "مورسيا" وأن هذه اللفظة هي يونانية "مورتيا" ومعناها : الآس . وهو هذه الشجيرة التي كانت عند القدمين منسوبة إلى الزهرة . قلت : وعلى هذا فليست مرسية من اختطاط عبد الرحمن الناصر كما ذكر بعض المؤرخين . وهي إذن قديمة العهد ، والظاهر أن عبد الرحمن الناصر أنشأ مرسيته الجديدة على أنقاض المرسية القديمة . وأدار عليها سورا منعا ذا أبراج . كما يؤخذ من هذا المصدر .

دارنا خيال الستار ، وأنا إذ ذاك صبي فحضرته ، فلما أصبحت أتيت إلى المؤدب ،
وكان من أولياء الله تعالى . فأنشد حين رآني :

يا ناظرا صور الخيال تعجبا * وهو الخيال بعينه لو أبصرا

اشتغاله بالتجارة :

وكان والده عمر بن علي من تجار مرسية . وكان يعمل معه في تجارته ولده الأكبر
أبو عبد الله جمال الدين محمد . ولما آستوت معارف أبي العباس وظهرت عليه علائم
النجابة ، رأى والده الانتفاع بمواهبه في متاجره ، فألحقه بأعماله ، وصار يبعثه صحبة
أخيه في البلاد . فزاول الأعمال التجارية ، وتدرّب على شؤون الأخذ والعطاء ،
وطرق المعاملات ، وأساليب المخالقات . ولا شك في أن الأعمال التجارية مما يوسع
دائرة فهم الحياة ، ويفتح الذهن لإدراك أخلاق الناس ، فهي مدرسة من أبرع
المدارس التي يقترن فيها العلم بالعمل ، وتسمو فيها المدارك إلى تفقه الأسباب والعلل ،
لا سيما إذا مارسها ذو إرادة قوية ، وقام عليها ذو بصيرة مرضية . وقد كان
أبو العباس مطبوعا على هذه الخلال ، فأفاد تجارة والده فائدة كبرى ، واستفاد هو
من معاملات الناس وأخلاقهم وتباين مشاربهم واتجاهات أنظارهم ، ما أرفه
حسه ، وأثار نفسه . فما وصل إلى الرابعة والعشرين من عمره ، حتى صار يشار إليه
بالبنان ، ويُقصد لين طالعه في كل مكان . وظهرت بركته على أعمال أبيه . حتى
آثره بحبه وعطفه على أخيه .

نجاته من الغرق ودخوله تونس :

ولما كانت سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) ، اعترم والده الحج إلى بيت الله الحرام
فصحب معه ولديه وأمهما فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن المالقي . فركبوا البحر
عن طريق الجزائر ، حتى إذا كانوا على مقربة من شاطئ بونة ، هبت عليهم ريح عاصف
أغرقت المركب بما فيها وبمن فيها . غير أن عناية الله أدركت أبا العباس وأخاه ،

فأنجاهما الله تعالى من الفرق ، فقصدا تونس وتديراها . فأما محمد فاتجه نحو الأعمال التجارية ، وصار يتنقل في الأسواق مباشرة الأخذ والعطاء على قدر حالته . وأما أحمد فاتخذ له مكتبا في زاوية الفقيه محرز بن خلف ، يعلم فيه الصبيان مبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب وحفظ كلام الله القديم ، وغير ذلك من مستلزمات ذلك العصر .

تعرفه بالشيخ الشاذلي :

وكان من المصادفات الحسنة أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي كان على مقربة من المكان الذي حلا فيه . وكان قد اتخذ له زاوية في سفح جبل زغوان ، فترامى صيته إليهما .

قال الشيخ أبو العباس : لما نزلت بتونس ، وكنت أتيت من مرسية — وأنا إذ ذاك شاب — سمعت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فقال لي رجل : تمضي بنا إليه ؟ فقلت : حتى أستخير الله . فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد إلى رأس جبل ، فلما علوت فوقه ، رأيت هناك رجلا عليه برنس أخضر ، وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل ، فنظرت إليه فقال : عثرت على خليفة الزمان . قال : فانتبهت . فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذي دعاني إلى زيارة الشيخ فسرت معه ، فلما دخنا عليه رأيت بالصفة التي رأيت بها فوق الجبل ، فدهشت ! فقال لي : عثرت على خليفة الزمان : ما اسمك ؟ فذكرت له اسمي ونسبي . فقال لي : رُفِعت لي منذ عشر سنين .

فلما تعرف إليه صار يتردد عليه في زاويته ، ويحضر مجالسه التي كان يعقدها لتعليم الطلاب ، وإرشاد المريدين ، ومناظرة العلماء ، ومنازلة الفقهاء ، وكان يقيم لهم حفلات الذكر ، ويحثهم على التقوى والبر ، ويرشدهم إلى الطريق القويم ، ويلقنهم أصول السلوك على طريق القوم ، فأظهر أبو العباس استعدادا للتلقى فاق به على أقرانه . فأحبه الشيخ وقربه وأدناه ، واختصه بأسراره ، وأفضى إليه بما وهبه الله ، من علوم ومعارف ، ومكاشفات وعوارف ، وأفاض عليه مما أفاء الله عليه من خيرات وبركات ،

حتى قال له : يا أبا العباس ، والله ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت . ولقد رأيت
فيك ما في الأولياء ، وما رأيت في الأولياء ما فيك . ولازمه أبو العباس منذ ذلك
الحين ملازمة تامة ، وصار لا يكاد يفارقه في سفر ولا في حضر .

وفوده مع شيخه إلى مصر :

وفي سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) عندما حدثت فتنة الفقيه أبي القاسم بن البراء
قاضي تونس ، وقام الشيخ أبو الحسن متجها نحو الديار المصرية ، كان على رأس
أصحابه الشيخ أبو العباس المرسى .

قال الشيخ أبو العباس : كنت مع الشيخ في السفر ، ونحن قاصدون الإسكندرية
حين مجيئنا من الغرب ، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأتيت إلى
الشيخ أبي الحسن ، فلما أحس بي قال : أحمد ! قلت : نعم ياسيدي . قال : آدم
خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأسكبه جنته ، ثم نزل به إلى الأرض .
والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه . ولكن نزل به إلى الأرض ليكمله ،
ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه . بقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
ما قال في السماء ، ولا في الجنة . فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة ، لا نزول
إهانة . فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف ، فأنزله إلى الأرض ليعبده بالتكليف .
فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفته ، وأنت أيضا لك قسط من
آدم ، كانت بدايتك في سماء الروح في جنة التعريف ، فأنزلت إلى أرض النفس
لتعبده بالتكليف . فإذا توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة .

دخوله الإسكندرية :

وما انتهى الشيخ من هذه العبارة التمثيلية الفائقة ، حتى شرح الله صدر
أبي العباس ، وأذهب عنه ما كان يجرد من الضيق والوسواس . ثم جدوا السير إلى
أن دخلوا الإسكندرية .

قال الشيخ أبو العباس : لما قدمنا من الغرب إلى الإسكندرية ، نزلنا عند عمود السوارى من ظاهرها . وكان دخولنا عند اصفرار الشمس ، وكانت بنا فاقة وجوع شديد . فبعث إلينا رجل من عدول الإسكندرية بطعام ، فلما قيل للشيخ عنه قال : لا يأكل أحد منه شيئا . فبتنا على ما نحن عليه من الجوع ، فلما كان عند الصبح صلى بنا الشيخ وقال : مدوا السماط ، وأحضروا ذلك الطعام . ففعلوا وتقدمنا فأكلنا . فقال الشيخ : رأيت في المنام قائلا يقول : أحلّ الحلال ما لم يخطر لك ببال ، ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال .

ولما نزلوا الإسكندرية اتخذ الشيخ أبو الحسن دارا — بإزاء قلعة « كوم الديماس » — المعروفة الآن بكوم الدكة — نزل بها هو وأصحابه وعلى رأسهم صفيه وخليفه أبو العباس المرمى . وأخذوا يدعون إلى الله في كل مكان حتى قصدهم العلماء والفضلاء ، ولازم مجالسهم الطلاب والمريدون ، وذاع صيتهم في الديار المصرية . فغشيم من مختلف أنحاء عامة الناس وخاصتهم .

ويؤخذ من عبارة أوردها ابن عطاء الله ، أن الشيخ أبا العباس كان من الشهود المعدلين بشعر الاسكندرية ، وكان متزوجا بكريمة شيخه أبي الحسن . وقد جاءت منه بأولاده جمال الدين محمد ، وأبي العباس أحمد ، وأخته مابهجة ، التي تزوجها الشيخ ياقوت .

استخلاف الشاذلى له :

ولما كانت سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) اختار الشيخ أبو الحسن جامع العطارين الذى أنشأه بدر الجمالى بالاسكندرية لإلقاء دروسه ، وعقد حلقات وعظه وإرشاده . وفيه أقام الشيخ أبا العباس خليفة ، وأذن له فى إلقاء الدروس ، وإرشاد المريدين ، وتعليم الطلاب ، ومناظرة العلماء ، وتلقين مبادئ السلوك ، وتهذيب الأخلاق ، ومداواة النفوس .

دخوله القاهرة :

ثم إن الشيخ أبا العباس استأذن شيخه في القيام بأمر الدعوة في القاهرة ،
وأتخذ من جامع الحاكم بالمقس^(١) مدرسة لبث تعاليمه ومبادئه بين الطلاب والمريدين ،
كما جعله نزلا له ومثوى . ومع ذلك فقد كان في كل ليلة يذهب إلى الإسكندرية
— كما قيل — فيسمع ميعاد شيخه أبي الحسن ، ثم يرجع إلى القاهرة . وكان يقرأ عليه
كتاب ” ختم الأولياء “ للحكيم الترمذى^(٢) ، و ” إحياء العلوم “ للغزالي^(٣) ، و ” قوت القلوب “
للمكي^(٤) ، و ” الرسالة “ للفشيري^(٥) ، و ” الشفاء “ للقاضي عياض^(٦) . وكان يقول :
كتاب الإحياء يورثك العلم ، وكتاب القوت يورثك النور . ويقول : الإمام
أبو حامد الغزالي من الصديقين ، والإمام الترمذى الحكيم أحد الأوتاد الأربعة .

(١) جامع الحاكم هذا هو الذى يقال له الآن ” جامع أولاد عنان “ ، بشارع إبراهيم باشا ، على يسار
الذهاب إلى ميدان محطة السكة الحديد . أنشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ووقف عليه أما كن كثيرة بمصر .
وتجددت عمارته في سنة ٥٨٧ هـ ، وفي سنة ٧٧٠ هـ جرده الوزير صاحب شمس الدين عبد الله المقسى
وروقف عليه أوقافا دارة . صنف بجامع المقسى . ثم نسب بعد ذلك إلى أولاد عنان ، وهم الشيخ محمد بن عنان
الشرقاوى المدفون به هو وأولاده ، وكان من رجال التقوى والصلاح . توفى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن على المؤذن الحكيم الترمذى ، كان من أكابر مشيخة خراسان ،
وله مؤلفات في التصوف ، أورد بها كلاما في الرقائق ، من أجل ما استروح به النفس الصافية ، وكتاب
” ختم الأولياء “ هذا من أبداع مؤلفاته . وقد امتحن ببلده وأخرج منها لعدم فهم مراميه من كلماته .
توفى سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) .

(٣) هو الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسى الشافعى . الفنى بشهرته عن
التعريف . توفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) .

(٤) هو أبو طالب محمد بن على بن عطية الحارثى المكي ، كان من أكابر الوعاظ وأفاضل المرشدين ،
وتحابه ” قوت القلوب “ من أجل الكتب التى صفت في التصوف وطريق القوم . توفى ببنفساد
سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) .

(٥) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن الفشيري النيسابورى الفقيه الشافعى ، كان من أقطاب
الصوفية وعلمائهم البارعين ، وله مؤلفات في التفسير والفقه والحديث . ومن أشهر مؤلفاته ” الرسالة الفشرية “
في التصوف ورجاله ، وهى من أبداع ما ألف في هذا الباب . توفى بنيسابور سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٣ م) .

(٦) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي الأندلسى الأفرىقى القاضى الشهير ، كان إماما
في علوم كثيرة ، وله مصنفات في غاية الجودة ، ومن أكثرها ذبوا ” الشفا بتعريف حقوق المصطفى “
و ” مشارق الأنوار على صحاح الآثار “ توفى بمراكش سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) .

مزايا مرید العهد :

وكانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن ، والشيخ أبي العباس ، والشيخ تاج الدين ابن عطاء الله ، والشيخ ياقوت العرشي — في قبول الطلاب — كما قال الشيخ على الخواص^(١) — أن لا يدخل أحد الطريق إلا بعد تجرّده في علوم الشريعة وآلاتها بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالهجوم الواضحة . فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد أبدا .

عملية تجارية مباركة :

وكان الشيخ أبو الحسن ، والشيخ أبو العباس كثيرا ما يتنقلون في البلاد . فتارة يكونان معا في بلد واحد ، وتارة يكون كل واحد منهما في بلد .

قال الشيخ أبو العباس : كنت ليلة من الليالي نائما بالإسكندرية ، وإذا قائلا يقول : مكة والمدينة ! فلما أصبحت ، عزممت على السفر — وكان الشيخ أبو الحسن بالمقياس بالقاهرة^(٢) — فسافرت إليه ، فلما مثلت بين يديه قال لي : مكة والمدينة ! فقلت : لأجل ذلك جئت ياسيدي . قال : اجلس . فجلست ، وإذا برجل دخل عليه وقال : ياسيدي ! عزممت على الحج وما معي شيء من الدنيا ! فقال لي الشيخ : أي شيء معك ؟ فقلت : عشرة دنانير . قال : إدفعها لهذا الرجل ! فدفعتها إليه . فقال لي

(١) هو الشيخ على الخواص البرلسي صاحب الضريح والمسجد بالحسينية خارج باب الفتوح بالقاهرة ويقصده الناس للزيارة . كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . ومع هذا فقد كان يعرض لتفسير بعض آيات من القرآن . وللناس فيه اعتقاد . ويذكر له الشيخ عبد الوهاب الشعراني كرامات وأحوال ، ويعترف بأنه كان شيخه . والله أعلم بحاله .

(٢) جامع المقياس هذا كان بقلة الروضة تجاه الجزيرة ، أنشأه بدر الجمالي وزير المستنصر بالله الفاطمي في نحو سنة ٥٤٨٠ . ثم عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم شرع في تجديده الملك المؤيد في سنة ٥٨٢٣ . ووقف عليه أوقافا . وأتمه الظاهر بجمع ، ووقف عليه أوقافا ، ثم جددته السلطان النوري ووقف عليه أوقافا سنة ٥٩٢٢ . ثم خربه الفرنسيون عند دخولهم الديار المصرية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) . وقد نهى الأستاذ حسن عبد الوهاب إلى أن المسجد الذي جددته حسن باشا المنسترلي بالروضة ودفن فيه لا علاقة بينه وبين جامع المقياس — خلافا لما ذكره على باشا مبارك — وأن مسجد المنسترلي بعيد عن آثار ذلك الجامع .

الشيخ : إذا كان غدا اخرج إلى الساحل واشترى عشرين إردبا قمحا . فأصبحت ونزلت إلى الساحل واشترت عشرين إردبا ، وحملت القمح إلى المخزن ، وجئت إلى الشيخ فقال لى : هذا القمح ، قالوا لى إنه مسوس . ما تأخذ منه شيئا ! فبقيت متحيرة لا أدري كيف أصنع ، وبقيت ثلاثة أيام لا يطالبنى صاحب القمح بالثمن . فلما كان اليوم الرابع وإذا برجل يطوف على ، فلما رآنى قال : أنت صاحب القمح ؟ فقلت : نعم . قال : تأخذ فيه فائدة ألف درهم ؟ فقلت : نعم . فوزن لى ألف درهم . فوضع الله لى البركة فيها ، فلو قلت : إنى أنفق منها إلى اليوم ، لصدقت .

قلت : وهذا من أجل الدروس التى يقصد بها تربية المريدين وأهل الطريق على العمل والكسب الحلال ، والترفع عما فى أيدي الناس .

صحبه لشيخه سنة وفاة الشيخ :

وفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . سحب الشيخ أبا الحسن لأداء فريضة الحج . فمرض الشيخ مرضا شديدا انتهى بوفاته ، ودفن بحميثرا من صحراء عيذاب .

قال الشيخ أبو العباس : سافرنا مع الشيخ فى السنة التى توفى فيها ، فلما كنا عند أنعيم قال لى الشيخ : رأيت البارحة كأنى فى جُلبة وأنا فى البحر . والرياح قد اختلفت ، والأمواج قد تلاطمت ، وأشرفنا على الفرق ، فأتيت إلى جانب المركب وقلت : أيها البحر ، إن كنت أمرت بالسمع والطاعة لى ، فالمنة لله السميع العليم . وإن كنت أمرت بغير ذلك ، فالحكم لله العزيز الحكيم . فسمعت البحر يقول : الطاعة الطاعة . فلما سافرنا وتوفى الشيخ دفناه بحميثرا من صحراء عيذاب ، وركبنا فى جُلبة ، فلما صرنا

(١) الجُلبة : نوع من السفن مؤلف من ألواح ضمت بعضها إلى بعض بحبال من الليف . وليس فيها شئ من المسامير . وكان البحارة ، وأكثرهم من البجة ، يشحنونها بالركاب من الحجاج والتجار لنقلهم من ساحل القصير إلى ساحل جدّه . وكثيرا ما كانت عرضة للفرق بهم دون مبالاة . حتى كان هؤلاء البحارة يقولون : عليكم الأرواح وعلينا الألواح . ولعل عدم استعمال المسامير فى هذه السفن راجعا إلى الخوف من حجر المنطاطيس الذى قد يكون فى البحر الأحمر ، وعرفه أجدادهم فاحترسوا منه بهذا النوع .

فى وسط البحر تلاطمت الأمواج ، واختلقت الرياح ، وانفتحت الجلبة ، وأشرفنا على الفرق ، أتيت إلى جانب المركب وقلت كما قال الشيخ ، فسكن البحر وطاب السفر .

تصدّره مجالس التعليم والإرشاد :

ولما أدّى الشيخ أبو العباس فريضة الحج بعد موت شيخه ، عاد فنصّدّر مجالسه . ومن ثم أخذ شأنه فى الارتفاع ، وصيته فى الذبوع ، ونجه فى الصعود ، فأمه الطلاب والمريدون من أدانى البلاد وأقصاها ، ورحل إليه الزوّار وذوو الحاجات من سائر الأقطار ، وسار ذكره كل مسار . وتوافد عليه العلماء والأمرء ، وقصد إليه الكبراء والفقراء . وكان إذا جاء الصيف رحل إلى القاهرة ، ونزل بجامع الحاكم بالمقسي ، وأخذ يتنقل بينه وبين جامع عمرو بن العاص بالفسطاط . وكان أكثر من يحضر دروسه من العلماء ، لاسيما إذا أخذ فى شرح الرسالة للإمام القشيري . فقد كان يوم شرحه لها من الأيام المعدودة ، لأنه كان يُورّد من أسرار الحقائق ما يملك النفوس ، ويعرض من دقائق الرقائق ما تستطير له الأرواح ، ويستولى على القلوب . حتى أناب على يديه خلق لا عدّ لهم ولا حصر .

تحقيق سنة وفاته :

وما زال قائما على الدعوة إلى الله تعالى ، ملتزما الطريقة المثلى من التقوى والورع والصلاح ، ناشرا العلوم والمعارف بين الناس ، مهذبا من نفوس الطلاب والمريدين ، إلى أن وافاه القدر المحتوم ، فانتقل إلى جوار ربه فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٧ م) رحمه الله تعالى .

وعند المقرئى فى السلوك أنه توفى سنة ٦٨٦ هـ . وكذلك هو عند السيوطى فى حسن المحاضرة . والأول أرجح .

وكان يوم وفاته من الأيام المشهودة . ودفن في قبره المعروف بالجبانة التي
إزاء رباط الشاطبي، خارج باب البحر، من ظاهر الاسكندرية، بحرس سوار،
قريبا من قبة المغاوري . وظل قبره معروفا عند الناس جميعا . مقصودا بالزيارة
للتبرك من العامة والخاصة . غير أنه لم يقم عليه بناء إلا في سنة ٧٠٦ هـ
(١٣٠٧ م) .



وكان وفود الشيخ أبي العباس المرسى ، مع شيخه أبي الحسن الشاذلى، إلى
الديار المصرية ، في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكانت وفاته
في عهد الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحى . رحم الله الجميع .

نبذ من مناقبه وشمائله

كان الشيخ أبو العباس رحمه الله - على سمت الغالبية من أهل الأندلس ،
بن التفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله - وكان من الإسـتقامة
والصلاح على الطريقة المثلى ، ومن الزهد والتقوى والورع من وراء الغاية ، وكانت
نقته بالله واعتماده عليه على الجانب الذى لا يرام ، وكان طوال مقامه بالديار المصرية
منصرفا إلى تلقين طلابه ومريديه عقائده الصالحة ، ومبادئه النافعة ، متجزدا
إرشاد الخلق إلى النهج القويم ، والطريق المستقيم . ولما كان شيخه أبو الحسن
لشاذلى قد أسلم إليه رايته ، واستخلفه على نشر طريقته ، وصدره فى مجلسه لإلقاء
لدروس ، وتهذيب النفوس ، كان من همه النهوض بهذه الأعباء الجسام ، مجتهدا
فى بث لباب العبادات بين الناس ، وتعليمهم أسرار الشريعة ، ولطائف الحقيقة ،
موضحا للعباد ما لهم عند الله من القربى إذا استقاموا على الطريقة ، مع حثهم على
طلب الرزق باتخاذ الحرف الشريفة ، ويحجب إليهم التعفف عما فى أيدي الناس ،
والثقة بما عند الله . ويقول لأصحابه : والله ما رأيت العز إلا فى رفع المهمة عن
الخلق ، وما السلامة فى الدنيا إلا بترك الطمع فى المخلوقين .

صفته :

وكان ذكى الفؤاد ، مستنير البصيرة ، نافذ الفراسة ، حادّ الذهن ، قوى الفطنة ،
سريع الخاطر . حتى لقد كان يقع على ما يحول فى صدور الناس ويستشف خفايا
قلوبهم . وكان مع هذا حسن السمات ، جميل المحيا ، ظاهر الهيبة ، نظيف الثياب ،
ثمين الملبوس ، كثير الوقار ، كث اللحية ، مربع القامة ، أبيض الوجه ، تام الخلق .

سعة معارفه :

أتقن علوما كثيرة، وأخذ من كل فن بنصيب وافر، حتى لكان المتحدث إليه في علم من العلوم ينصرف من بين يديه، وهو يظن أنه لا يحسن إلا ذلك العلم الذي كان يتحدث معه فيه، لاسيما إذا أخذ في علم التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والأدب، ومبادئ السلوك . أما المعارف الدنيوية، وأسرار الحقائق الربانية، فقد كان كما قيل : قطب رحاها، وشمس ضحاها^(١) وكان كتابه في التفسير "الوجيز" لابن عطية . وفي الحديث "المصابيح" للبيهقي . وفي الفقه "التهذيب والرسالة" . وفي الأخلاق "الاحياء" للغزالي، وفي التصوف "ختم الأولياء" للحكيم الترمذي، و"قوت القلوب" لأبي طالب المكي، و"الرسالة البيانية" للقسيري . وقد كان مشهورا عند أهل زمانه بالتبحر في العلوم الإسلامية، والتخصص في علوم الحقيقة وأصول الطريقة . وكان يقول : شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه .

نصيبه من الأدب العربي :

وقد تبين لي من أمره، أنه كان على معرفة حسنة بالأدب العربي، فكان يحفظ من أشعار العرب قدرا ضالحا يستشهد به في المناسبات، مع بيان مقاصد الشاعر واتجاهاته . وكان يكتب الرسائل الحسان، وينظم الشعر على نهج العلماء من أهل

(١) هو العالم المفسر أبو محمد عبد الحق بن غالب (ابن عطية) المحاربي الأندلسي، كان فقيها عالما بالتفسير والحديث والأحكام، عارفا بفتون اللغة والأدب، وله نظم ونثر، ولى قضاء المرية فأظهر دهاءا وذكاء، وتصرفا حسنا في تونسي الحق، والتزام العدل . ألف كتابه "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" فأحسن فيه وأبدع، وطاو بحسن نيته كل مطار . قصد مرسية ليتولى قضاءها فصده عن دخولها وصرف منها إلى لورقة، فأت بها سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) .

(٢) هو محيي السنة ركن الدين أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، كان من أكابر فقهاء الشافعية، متبحرا في كثير من العلوم . وله من المصنفات "مصابيح السنة" في الحديث، و"معالم التنزيل" في التفسير . وغيرها من الكتب القيمة . مات بمرور الروضة سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) على الراجح .

الطريق ؛ وكان يعبر عن أغراضه ومراميه بالعبارات الجيدة ، مع الإيجاز الحسن ، ويعرض معانيه في الأساليب المقبولة ، مع التمسك بأهداب الفضيلة . أما الورع ، والتقوى ، والزهد الخالص لوجه الله ، وحسن التوكل على الله ، والاعتماد عليه وترك من عداه . فقد كان في هذا كله العلم المفرد . قال يوما : كان الشيخ أبو الحسن قال لي : إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئا ! فكان إذا اشتد على الوقت أخرج إلى ساحل بحر الاسكندرية ألنقط ما يرميه البحر بالساحل من قمح حين يرفع من المراكب . وهذا غاية الزهد والورع والتعفف .

هل كان يعرف لغة غير العربية ؟

وفوق ذلك فقد يستشف من مجمل أحواله ، وثنايا أخباره ، أنه كان يعرف لغة أخرى غير العربية ، وأرجح أنها الفارسية أو التركية لذيوعتها في ذلك العهد . حدث الشيخ نجم الدين عبد الله الأصفهاني قال : سألت الشيخ أبو العباس يوما : ما اسم كذا وكذا بالعجمية ؟ فخطر لي أن الشيخ يحب أن يقف على اللغة العجمية . فأتيت إليه بكتاب الترجمان : فقال : ما هذا الكتاب ؟ قلت : كتاب الترجمان . فضحك وقال : سل ما شئت بالعجمية ، أجبك بالعربية ، أو سل ما شئت بالعربية ، أجبك بالعجمية . فسأته بالعجمية ، فأجابني بالعربية . وسأته بالعربية ، فأجابني بالعجمية ، وقال : يا عبد الله ! ما أردت بقولي ما اسم كذا إلا مباسطتك ! وإلا فلا يكون صاحب هذا الشأن ويخفى عليه شيء من الألسنة ... !

قلت : يريد أن معرفته بالألسنة إنما جاءت إلهاما . ولذلك كان يقول : إذا كل الرجل ، نطق بجميع اللغات ، وعرف جميع الألسن ، إلهاما من الله عز وجل . وليس هذا ببعيد على قدرة الله تعالى .

اعتراف علماء عصره بفضله :

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى يحب السعى فى مصالح الناس ، ومن أجل ذلك كان لا يتحرج من مقابلة الأمراء والحكام والوجوه والأعيان . أما الشيخ أبو العباس فكان يتحرج من ذلك ، ولا يحب مقابلة ذى سلطان ، وإن رغب فى لقائه . ولذلك لما جاءه أحد الناس وطلب وساطته عند بعض الحكام فى حاجة له قال : أنا أطلب لك ذلك من الله . ومن أجل هذا كان الشيخ أبو الحسن يقول : أبو العباس ، بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض . وكان يقول : عليكم بالشيخ أبى العباس فوالله إنه لياتيه البدوى لا يحسن وضوءه ، فلا يمسى إلا وقد أوصله إلى الله تعالى . وكان يقول : هذا أبو العباس مذ نفذ إلى الله لم يحجب ، ولو طلب الحجاب لم يجده . ولما قال الشيخ أبو العباس فى بعض مجالسه بحضرة شيخه أبى الحسن : سمعت شيخى أبا الحسن يقول : لن تهلك أمة فيها أربعة : إمام ، وولى ، وصديق ، وشيخ . قال أبو الحسن : الإمام هو أبو العباس . وكان يقول : أبو العباس شمس ، وعبد الحكيم قر . قلت : وعبد الحكيم هذا كان من أصحاب الشيخ أبى الحسن . وقال الشيخ أبو العباس الدمنهورى : سيدى أبو العباس المرسى ملك من ملوك الآخرة . ما من أسوان إلى دمياط وإلى الاسكندرية رجل مثله .

وقال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان^(١) : الشيخ أبو العباس المرسى وارث علم الشاذلى حقيقة .

وقال جماعة من أهل "أشموم" : قدم علينا الشيخ أبو الحسن البجائى — من أصحاب أبى الحسن الشاذلى — فكان يتكلم علينا فيعجبنا كلامه . فاذا رأى إعجابنا بذلك قال : كيف لو رأيتم الشيخ أبا العباس المرسى ! والله لو أطلق أبو العباس لسانى لتكلمت بالعلم الغريب .

(١) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلسانى المرسى الاسكندرى . قدم الاسكندرية شابا فأخذ عن بعض علمائها ، وكان عارفا بمذهب الامام مالك مع الزهد والورع ورسوخ القدم فى العبادة والنسك ، ولد سنة ٦٠٧ هـ . وتوفى بالقاهرة سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) .

وذكر ابن عطاء الله السكندري، أن الشيخ شمس الدين الأصفهاني^(١)، والشيخ شمس الدين الأيكي^(٢)، كانا يجلسان بين يديه جلوس المستفيد، آخذين عنه، ومعلقين ما يبديه.

وقال : كان « بنشيل القناطر » رجل يقال له خليل — وهو مدفون بها الآن — قال : دخل على الشيخ أبو الحسن الشاذلي فتوضأ عندي، ثم أخذ قوساً لي بفجرها ثلاثاً . فقلت له : يا سيدي ، من هو الخليفة بعدك ؟ فقال : من يأتي إليك ههنا ويتوضأ نحو وضوئي هذا، ويمرّ هذه القوس ثلاثاً، فهو الخليفة بعدي . فدخل على أصحاب الشيخ جميعهم فلم يتفق أن فعل ذلك أحد منهم، حتى دخل الشيخ أبو العباس فتوضأ نحو وضوء الشيخ، ورفع بصره فوجد القوس فقال : ناولنيها ؟ فناولته إياها، بفجرها ثلاث مرات، ثم قال : يا خليل ! جاءك ومد الشيخ .

وقال : جاء الطواشي بهاء الدين مشد الديوان، والفقير شمس الدين الخطيب ناظر الأحباس، إلى الشيخ أبي العباس فقالا له : إن هذه القلعة تحتاج إلى حصر وزيت وقناديل، ويحتاج الفقهاء فيها إلى ما يأكلون، ونحن حكام الوقت، نطلق لها شيئاً كل شهر ؟ فقال لهما : حتى أشاور أصحابي . ثم قال لأصحابه : بماذا تشيرون ؟ فلم يرجع أحد جواباً، فكرر السؤال فلم يجبه أحد، فقال : اللهم اغثنا عنهم

(١) هو العلامة الأصول المتكلم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود المجل الأصفهاني، من ذرية أبي دلف الشهير . كان أبوه نائب السلطنة بأصفهان . تلقى علومه على مشيخة بلده، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها، ثم دخل بلاد الروم (السلطنة العثمانية) وتلقى عن شيوخها، ثم حضر إلى الديار المصرية وولى قضاء قوص خلافة عن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز . وكانت له دروس في مشهد الحسين والامام الشافعي، وأخذ عنه جماعة من المصريين، وله تصانيف في كثير من العلوم، مع إجادة العربية وقرض الشعر . كان مولده بأصفهان سنة ٦١٦ هـ وتوفي بمصر في ٢٠ رجب سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م)

(٢) هو العلامة الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسي الأيكي . كان من أئمة الفقه والنصوف، دخل دمشق ودرس بها، ثم حضر إلى مصر وولى مشيخة الشيوخ، فتكلم فيه الصوفية، فخرج منها طائفاً إلى دمشق فتوفي بالمزة في ٣ من شهر رمضان سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) عن سبعين سنة . وله مؤلفات في الأصول والتفسير وغيرها .

ولا تغتنا بهم، إنك على كل شيء قدير. ومات الشيخ وليس للكان مرتب ولا معلوم.
قلت : ما بعد هذا نهاية في حسن التوكل على الله .

وقال الشيخ ياقوت العرشي : عزم على إنسان فقدم لي طعاما فرأيت عليه
ظلمة فقلت في نفسي : هذا طعام حرام . فامتنعت من أكله . ثم دخلت على
الشيخ أبي العباس فقال لي أول ما جلست : ومن جهل بعض المريدين أن يقدم
له طعام، فيرى عليه ظلمة فيقول : هذا حرام ! يا مسكين، ما يساوى ورعك بسوء
ظنك بصاحبك المسلم ! هلا قلت : هذا طعام لم يردن الله به ؟ ...

وكان رجل ينكر عليه ويقول : ليس إلا أهل العلم الظاهر . وهؤلاء القوم
يدعون أمورا عظمى، ظاهر الشرع يأباه . فحضر يوما مجلسه فأنهر عقله، ورجع
عن إنكاره وقال : هذا الرجل إنما يعرف من فيض بحر إلهي، ومدد رباني .
ثم صار من أخص أصحابه . قلت : هو ابن عطاء الله السكندري .

آدابه وسمو نفسه :

وذكر بعض المؤرخين أنه كانت لديه فضيلة ومشاركة، وكان كثير الأدب مع
الله ومع خلقه، وله كرامات وأحوال، وإشارات وأقوال . وكل ذلك مشهور عنه .
وكان على الهمة رفيع النفس، وكان للناس فيه اعتقاد كبير، فكان يوقر مجلس
القرآن، وربما أخذته حال من الرهبة والخوف عند تلاوته، فلما سئل في ذلك قال :
لأنما أقرؤه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال مرة : لأنما أقرؤه على الله
عز وجل . وكان يكره النفاق، ويبغض الرياء . فإذا قام إلى الصلاة صلى صلاة
خفيفة، فلا يطيل الركوع، ولا يبالي في السجود، ولا يسترعى الأسماع بقراءته،
ولا يستدعي الالتفات إلى عبادته، بل كان مقتصدا في كل ذلك خوف الرياء
وخشية أن تكون عبادته لغير الله تعالى . وذكر عنه رجل بالعلم والصلاح فرآه
في أثناء وضوئه يكثر من الوسوسة، فغضب وقال : أين علمكم الذي تمدحون به
الرجل ! العلم الذي ينطبع في القلب كالبياض في البياض، والسواد في السواد .

وزاره يوما بعض العائدين من الحج فقال لهم : كيف كان حجمكم ؟ فقبل له :
كان كثير الرخاء ، كثير الماء ، ابتعنا الماء بكذا ... فأعرض عنهم وقال : أسألكم
عن أثر الحج في نفوسهم : من تلبية الله ، وما فتح به عليهم ، وما وجدوه ، وما فازوا به ،
فيجيئون برخاء الأسعار ، وكثرة المياه ، كأنهم لم يسألوا إلا عن ذلك ! .

إذا وصلت إلى البيت الحرام فلا يكن همك البيت ، وليكن همك رب البيت .
ولا تكن ممن يعبد الأوثان والأصنام .

وكان يكره للأشياخ إذا جاءهم مرید أن يقولوا له : قف ساعة . ويقول :
إن المرید يأتي إلى الشيخ بهمة المتوقدة ، فإذا قيل له : قف ساعة ! طغى
ما جاء به . وكان يقول عن شيخه : اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري ، فإذا
وجدتم منيلا أعذب من هذا المنهل فردوه . وكان إذا مدح بقصيدة أجاز المادح
بإقباله عليه ، وبإعطائه أجرل العطاء . وكان إذا أهدى إليه شيء يسير تلقاه
بشاشة وقبول ، وإذا أهدى إليه شيء كثير تلقاه بعز النفس وإظهار الغنى عنه .
وكان لا يثني على مرید بين إخوانه خشية الحسد .

وقال يوما : دخلت على الشيخ أبي الحسن ، وفي نفسي أن آكل الخشن ،
وألبس الخشن ، فقال لي : يا أبا العباس ، اعرف الله وكن كيف شئت .

وقد مكث بالاسكندرية ما شاء الله أن يمكث ، ما رأى وجه نائما ، والمتولى
لشؤونها ، ولا أرسل إليه في شفاعة ، بالرغم من أن ذلك النائب طلب الاجتماع به
فأبى الشيخ ذلك . وما قال له الزكي الأسواني : يا سيدي . إن متولى الاسكندرية
يؤثر الاجتماع بك ، والأخذ عنك ، فتكون شيخه ، ويكون من مریديك ! قال الشيخ :
يا زكي ، لست ممن يلعب به ، والله إنني ألقى الله ولا يراني ولا أراه ، فكان الأمر كذلك .

(١) هو الشيخ زكي الدين أبو بكر عرام بن إبراهيم بن يس الرعي الأسواني السكندري . كان فقيها شافعي
المذهب عارفا بالفرائض مفتيا بها . مع إجادته الحساب والخبر والمقابلة . وكان مولده بأسوان في حدود سنة ٥٦٢٠ هـ .
ثم وفد على الاسكندرية فكان من المعدلين ، وصحب الشيخ أبا الحسن الشاذلي وتزوج بابنته ، كما صحب الشيخ
أبا العباس الرمي وأخذ عنهما التصوف وطريق القوم . وتوفي بالاسكندرية في سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) .

وأتى إليه متولى الثغر وناظره وشاد الدواوين ، فليلة حضورهم غلب عليه القبض ولم ينبسط للكلام كعادته حتى كان يريدوه يقولون : ليت ما كان يتكلم به معنا كان ليلة حضورهم .

وحضر إليه الشجاعى^(١) يوما ، وهو فى مجبوحة عزه ، وتمكنه من السلطنة ، فما أوى الشيخ إليه عنان همته ، ولا فوق نحوه سهام عزيمته . ولما استعرض الشجاعى رغائب الشيخ ومطالبه قال الزكى الأسوانى : يا سيدى . اطلب منه أرضا يزرعها أصحابك ! فقال : يا زكى هذا ما لا يكون أبدا .

وكان إذا نام ببلد فى السفر ، وعرف أن كبير ذلك البلد يريد الاجتماع به ، يسافر من ليلته قبل الفجر ولا يجتمع به .

(١) هو الأمير علم الدين سنجر الشجاعى . كان مدبر المملكة فى عهد السلطان قلاون ، وكان يبالغ فى المصادرات واستخراج الأموال . وكانت فيه شهامة وصرامة واضطلاع بالأعباء الجسام ، ولذلك كان السلطان قلاون وأولاده يثقون به ويولونه الولايات العظيمة . وهو الذى قام بالاشراف على عمارة المدرسة والمارستان المنصورى بخط بين القصرين (شارع المعز لدين الله) فى سنة ٦٨٢ هـ . ثم ولى نيابة الشام وزيدت إقطاعاته ورواتبه عما كان لتواب الشام . وافتتح عدة بلاد بالساحل وأجلى عنها الافرنج الذين كانوا ملكوها من سنوات . وكان مطلق التصرف فى أموال الخزانة ، ولذلك حامت حوله الظنون فصودر فى أموال جسيمة ، وحبس ثم أطلق ، وعاد إلى تولى المناصب الكبيرة ، حتى بلغ مرتبة الوزارة للملك الناصر محمد بن قلاون . ثم ثار به الأمراء فقتلوه فى سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) . وطيف برأسه فى القاهرة ومصر ، وكان موضع شماتة الناس لما نكبهم به من المظالم .

المأثور من بديع كلامه

كان الشيخ أبو العباس رحمه الله ، يفيض على تلاميذه ومريديه ، وحاضري مجالس درسه ووعظه ، وشاهدي حضراته التي كان يقيمها لذكر الله — بكلمات بديعة المعاني ، بليغة المباني ، ملئت بالعبارات الشريفة المغزى ، وحفلت بالإشارات الجليلة المرمى ، يفسر بها آيات من كتاب الله ، أو يشرح فيها بعض أحاديث رسول الله ، أو يعلق بها على كلام بعض الصالحين ، أو يرسلها كريمة إلى قلوب المتقين . وبعد البحث والتنقيب عثرت له على طائفة صالحة منها ، رأيت أن أختار أفضلها ، وأختص بالإيثار أنفعها وأجملها ، وأعرضها في هذه الصفحات لينظر فيها الإمام المفسر ، ويزنها العالم المحدث ، ويهيم بها الشيخ المتصوف ، وينتفع بمبادئها كل محب للاطلاع ، ولا خفاء أنها صدرت عنه على أسلوب القوم ، وبمصطلح أهل الطريق . وانبدأ قبل كل شيء بما فسر به آيات من القرآن الكريم .



تفسيره لآي من القرآن :

١ — قال في قول الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . علم الله سبحانه وتعالى عجز خلقه عن حمده ، فحمد نفسه بنفسه في أزله . فلما خلق الخلق ، اقتضى منهم أن يحمّدوه بحمده ، فقال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . أى قولوا : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . أى أن الحمد الذى حمد به نفسه بنفسه هو له ، لا ينبغى أن يكون لغيره . فعلى هذا يكون الألف واللام عهديتين .

٢ — وقال في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . إياك نعبد شريعة ، وإياك نستعين حقيقة . إياك نعبد لإسلام ، وإياك نستعين إحسان . إياك نعبد عبادة ، وإياك نستعين عبودية . إياك نعبد فرق ، وإياك نستعين جمع .

٣ — وقال في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. عموم المؤمنين يقولون: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أى بالتثنية فيما هو حاصل، والإرشاد لما ليس بمحصل. فإنه حصل لهم التوحيد، وفاتهم درجات الصالحين. والصالحون يقولون: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. معناه نسألك الثبات فيما هو حاصل، والإرشاد لما ليس بمحصل. فإنه حصل لهم الصلاح، وفاتهم درجات الشهداء. والشهداء يقولون: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أى بالتثنية فيما هو حاصل، والإرشاد لما ليس بمحصل. فإنه حصل لهم درجات الشهداء، وفاتهم درجات الصديقين. والصديقون يقولون: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أى بالتثنية فيما هو حاصل، والإرشاد لما ليس بمحصل. فإنه حصل لهم درجات الصديقية، وفاتهم درجات القطبانية. والقطب يقول: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أى بالتثنية فيما هو حاصل، والإرشاد لما ليس بمحصل. فإنه حصل له علم رتبة القطبانية، وفاته علم إذا شاء الله أن يطلع عليه أطلعه.

٤ — وقال في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾. كل موضع ذكر فيه المصلين في معرض المدح، فإنما جاء لمن أقام الصلاة، إما بلفظ الإقامة، أو بمعنى يرجع إليها. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾. ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾. ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾. ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾. ﴿وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةَ﴾. ولما ذكر المصلين بالغفلة قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. ولم يقل فويل للقيمين الصلاة. والإقامة هي أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلت منه، خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راحة ساجدة الى يوم القيامة. وثواب ذلك لصاحب الصلاة.

٥ — وقال في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. قيل: إنما وقع التفصيل في العبارة أدبا من الله تعالى لنا، فأضاف

المحاسن إليه وأضاف المساوئ إلينا . وإن كان فعل العبد كله خلق الله ، حسنة وسيئة ، كما قال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ . فأضاف ذلك الى الله . وقال في السفينة : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ . ولم يقل فأراد ربك أن يعيبها . أدبا في التعبير . وكما قال على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين ﴾ . فأضاف المرض لنفسه والشفاء لله عز وجل . ومنهم من قال إن ذلك داخل في مضمون القول ، وإن هذا التفصيل حكاه الله عنهم . والتقدير : ﴿ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ . في قولهم : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ . ورد عليهم بقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ .

٦ — وقال في قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ . يولج المعصية في الطاعة ، والطاعة في المعصية . يطع العبد الطاعة فيعجب بها ، ويعتمد عليها ، ويستصغر من لم يفعلها ، ويطلب من الله العوض عليها . فهذه حسنة أحاطت بها سيئات . ويذنب الذنب فيلجأ إلى الله فيه ، ويعتذر منه ، ويستصغر نفسه ، ويعظم من لم يفعله . فهذه سيئة أحاطت بها حسنات ، فأيهما الطاعة وأيها المعصية !!

٧ — وقال في قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ . الولي لا يزال مضطرا .

٨ — وقال في قوله تعالى : ﴿ زَكُمَا دَخَلْ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمَحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَهَمَزَى إِلَيْكَ الْخَلَّةَ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ . فذكر بعض الناس في هذا تأويلا لا يُرضى ولا ينبغي أن يلتفت إليه ، وهو أنه كان حبها لله وحده ، فلما ولدت انقسم حبها . وليس كما قال هذا القائل ، لأنها صديقة كما أخبر الله عنها : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ . والصديق والصديقة لا ينتقلان من حالة إلا الى أكل منها ، ولكنها كانت في بدايتها متعزفا إليها بنحرق العادة ، وسقوط الأسباب . فلما تكمل يمينها ، أرجعت إلى الأسباب . فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى .

٩ — وقال في قوله تعالى حاكيا عن الشيطان : ﴿ لَا تَتَّبِعْهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ . ولم يقل من فوقهم ولا من تحتهم ؛ لأن فوق للتوحيد ، وتحت للإسلام . والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توحيده ولا من إسلامه . فلو علم الشيطان أن ثم طريقا توصل إلى الله أفضل من الشكر لو قف عليها . ألا ترى إلى قوله : ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ . ولم يقل صابرين ، ولا خائفين ، ولا راجين ... ؟ !

١٠ — وقال في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . سمي " خليلا " لأنه خال سره محبة الله تعالى . قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
وإذا ما نطقت كنت كلامي * وإذا ما صمت كنت الغليلا

١١ — وقال في قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . وفي بمقتضى قوله : ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ ﴾ . وما سمي إبراهيم الخليل " فتي " إلا لكونه كسر الأصنام الحسية التي وجدها . وأنت يا ولدي لك أصنام خمسة معنوية ، فإن كسرتها فانت فتي : النفس ، والهوى ، والشيطان ، والشهوة ، والدنيا . وافهم ههنا " لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي " وليست الفتوة بالماء والملح ، وإنما الفتوة الإيمان والهداية ^(١) .

(١) يشير أبو العباس بكملة هذه إلى فرقة كانت معروفة في ذلك العهد « بالفتيان » ، وتنت « بالفتوة » . وهذه الفرقة كانت تشبه في كثير من الوجوه « فرقة الكشافة » في عصرنا الحاضر . غير أنها كانت في مبادئها وآدابها أرقى شأنا وأحكم نظاما . أنشأها الخليفة الناصر لدين الله العباسي في بغداد ثم انتشرت مبادئها في البلاد الإسلامية ، واتمى إليها كثير من الملوك والعلماء والأشراف . وقد أصدر الناصر منشورا عاما بانسائها في سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) . أبان فيه نظامها ، وأوضح آدابها ، وقرر مبادئها ، وسن فيه ما يجب على الفتى المنسوب إليها من الأخذ به ، من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات ، والنزاهة عما يخل بالمرودة أو يمس الكرامات . كما شرع فيه مأخذ وعقوبات لمن يخالف مبادئها ، أو يخرج عليها .

وكان لهذه الفرقة أحزاب ، ولأحزابها رؤساء وفتباء وزعماء . وكان من يريد الدخول فيها يعقد له مجتمع يحضر فيه ، ويقوم القريب إلى الشخص الجديد فيزعه عنه لباسه بيد ، ويلبسه لباس الفتوة بيد . وهو عبارة عن سراويل قصيرة . ثم تدور عليهم ، وهم جلوس ، شربة فيها ماء وملح . بعد أن يؤخذ عليه العهد في الأخذ بمبادئها ، وهي : صدق الحديث ، وأداء الفرائض ، وأداء الأمانة ، واجتناب المحارم ، ونصرة المظلوم ، وصلة =

١٢ — وقال في قوله تعالى : ﴿وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ . من طاعاتهم وأعمالهم التي قاموا بها لله في ليالهم ، أن يشهدوها من أنفسهم .

١٣ — وقال في قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ . لم يقل بنبيه ولا برسوله ، وهو نبيه ورسوله . وإنما كان كذلك لأنه أراد أن يفتح باب السريان للاتباع . فأعلمنا أن الإسراء من بساط العبودية . والنبي صلى الله عليه وسلم كان له كمال العبودية ، فكان له كمال الإسراء . أسرى بروحه وجسمه وظاهره وباطنه . والأولياء لهم قسط في العبودية ، فلهم قسط في الإسراء ، يسرى بأرواحهم لا بأشباحهم .

١٤ — وقال في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ . إن المتقين في جنات ونهر ، في هذه الدار وفي تلك الدار ، في الدنيا في جنات العلوم وأنهار المعارف ، وفي الآخرة في الجنة التي وعدوا بها . في مقعد صدق ، في هذه الدار وفي تلك الدار . وعند ملك مقتدر ، في هذه الدار وفي تلك الدار .

١٥ — وقال في قوله تعالى : ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ . إنما قرن شكره بشكرهما لأنهما أصل في وجودك .

= الرحم ، والوفاء بالعهد ، والعفو عند المقدرة ، واحتمال الأذى ، وبذل المعروف ، والتمسك بالكتاب والسنة ، وعدم مفارقة أحدهما للآخر ، والاخلاص في صداقة الصديق على كل حال ، ومعاداة عدوه في كل حال ، ونصره ظالماً أو مظلوماً . ومن خالف مبدأ من هذه المبادئ أو أنكرها أو خرج طلبها بحكم ويؤخذ سراويله ، وتبطل عنه الفتوة ، ويماقب بما يرى أنه يستحقه .

وكانوا يردون نظام المواخاة بينهم إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار .

والفتوة في اللغة : الكرم والسخاء . ويعبر عنها في الشريعة بمكارم الأخلاق . ولهم في الفتوة إسناد يرفعونه إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حيث يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألبس علياً لباس الفتوة وقال : « لا فتى إلا علي » ثم أمره بأن يلبسه من يشاء . ويرون أن أقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ، والفضيل بن عياض ، والامام أحمد بن حنبل ، ومهل بن عبد الله التستري ، وأبو القاسم الجنيد . تختلف ألفاظهم ، وتألف أغراضهم .

وكان بعض الصوفية يقول : الفتوة أن تقرب من بقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتحسن إلى من يدي إليك ، سماحة لا كظما ، ومودة لا مصابرة . وعند بعض العارفين أن الفتوة ترك ما تهوى لما تحشى ، والفتى من يؤثر الخلق على نفسه في الدنيا والآخرة . وكلها كما ترى مبادئ سامية ، وآداب عالية . يندر في عصرنا من يأخذ بشيء منها . والله الأمر من قبل ومن بعد .

١٦ — وقال في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ . يقال للولى : وما تلك يمينك أيها الولي؟ قال : هي دنيأى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى . وغنمه أعضاؤه . ولى فيها مآرب أخرى . فيقال له : ألقها؟ فناء عنها فآلقها : فيكشف له عن حقيقتها ، فإذا هي حية تسعى . ثم يقال له : خذها ولا تخف؟ ولا يضره أخذها حين أخذها ، لأنه أخذها باذن ، كما ألقاها باذن . فأخذها من الوجه الذى به ألقاها . فاطاع الله في أخذها ، كما أطاع الله في إلقائها .

١٧ — وقال في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ . إنما قال للرحمن ولم يقل للقهار ، ولا للعزیز ، لأن تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة ، مظهران من مظاهر القهر والسطوة . فلو قال للقهار أو للعزیز ، لم يطق العباد ذلك ، وتفطرت قلوبهم . ففرق بهم أن قال : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ . وهكذا قوله : ﴿ يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ . ولم يقل الى القهار ولا الى العزیز ، لأن الحشروهل المطلع شديد . فلاطفهم برحانيته في ظهور سلطان قهره .

١٨ — وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ . فيهم قوم من هذا الخطاب ، أنهم أمروا بعبادة الشيطان فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب . وقوم فهموا من ذلك ، إن الشيطان لكم عدو ، أى وأنا لكم حبيب . فاشتغلوا بمحبته فكفاهم من دونه . قيل لبعضهم : كيف صنعتك مع الشيطان؟ قال : وما الشيطان! نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله فكفانا من دونه .

١٩ — وقال في قوله تعالى : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ . نزلت في اليهود . ومن كان من فقراء هذا الزمان ، مؤثرا للسماع لهواه ، آكلا مما حرمه مولاه ، فهي نزعة يهودية ، لأن القوال يذكر العشق وما هو بعاشق ، والمحبة وما هو

بحب، والوجد وما هو بمتواجد . قالقوال يقول الكذب، والمستمع سماع له . ومن
أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى إلى السماع، فهو يصدق عليه قول الله :
(سماعون للكذب أكالون للسحت) .

٢٠ — وقال في قوله تعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا
مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) . في هذه الآية مدح لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه
عليه ، أى أن هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها ، وأنت يا محمد تثبت
لنزوله ، للقوة الربانية التي أودعناك إياها . وفيها ذم للكافرين ، أى أن هذا القرآن
لو أنزل على جبل لخشع وتصدع ، وأنتم ما خشعتم ولا تصدعتم .

٢١ — وقال في قوله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا
وَمَنِ اتَّبَعْنِي) . على معانية تعين سبيل كل أحد من الأتباع فتحمله عليها . وقد
فتح الحق سبحانه وتعالى بقوله : (ومن اتبعني) . باب البصائر للاتباع .

٢٢ — وقال في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) . جميع
الأنبياء خلقوا من الرحمة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة .

٢٣ — وقال وقد سئل عن قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) . وقيل له : من أين للعبد أن يتق الله
حق تقاته ؟ ومن أين له أن لا يموت إلا وهو مسلم ؟ فقال : أقول : إن هذه
الآية منسوخة بقوله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) . فكانوا قد خطبوا أولا
بتقوى الله حق تقاته ، وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا
يُكفر . ثم خفف عنهم بقوله : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) . وقد يمكن الجمع بين
الآيتين : (اتقوا الله ما استطعتم) . في جانب الأعمال : (اتقوا الله حق تقاته) .
في جانب التوحيد . وقوله : (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) . لا لتعاطوا من
الأعمال إلا أعمالا إذا متم عليها متم مسلمين .

٢٤ — وقال : قرأت مرة : ﴿ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ ﴾ . إلى أن انتهت إلى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ . ففكرت في معنى هذه الآية فكشف لي : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ . روحا وعقلا : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ . نفسا وهوى .

٢٥ — وقال : وقد سأله سائل يا سيدي ، لم قال عيسى عليه السلام : ﴿ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . ولم يقل الغفور الرحيم ؟ فقال : لأنه لو قال الغفور الرحيم لكان شفاعته من عيسى عليه السلام لهم في المغفرة . ولا شفاعته في كافر . ولأنه عبيد من دون الله فاستحى من الشفاعته عنده وقد عبيد معه .

٢٦ — وقال في قوله تعالى : ﴿ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ . أى من النفس والهوى .

٢٧ — وقال في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ . للناس أسباب ، وسببنا نحن الإيمان والتقوى .

٢٨ — وقال في قوله تعالى : ﴿ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيب ﴾ . الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله ، وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله .

٢٩ — وقال في قوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . الحق الذى خلق به كل شيء كلمة ﴿ كُنْ ﴾ . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ . قَوْلَهُ الْحَقُّ ﴾ .



شرحه لبعض الأحاديث والآثار :

١ — قال في قول النبي عليه الصلاة والسلام « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد

حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله ؛ إجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات حسن وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » . الإمام العادل هو القلب . ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه ، أى ورجل قلبه معلق بالعرش ، فإن العرش مسجد قلوب الموقنين . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، أى خاليا من النفس والهوى . ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، أى من النفس والهوى .

٢ — وقال في قوله عليه السلام : « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » . أى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره ، فان من ذلك على الدنيا فقد غرك ، ومن ذلك على الأعمال فقد أتعبك ، ومن ذلك على الله فقد نصحك .

٣ — وقال في قوله عليه السلام : « رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا » . الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء ، والأولياء يطالعون أمثلها . فلذلك قال عليه الصلاة والسلام : « رأيت الجنة » . ولم يقل : كأني رأيت . ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأله : « كيف أصبحت يا حارثة ؟ » قال : « أصبحت مؤمنا حقا » فقال صلى الله عليه وسلم : « لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ » قال : « عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها ومدرها . وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون ، وإلى أهل النار في النار يعذبون ، وكأني أرى عرش ربي بارزا . من أجل ذلك أسهرت ليلي وأظلمات نهاري » . فقال له الرسول صلوات الله عليه : يا حارثة « عرفت فالزم » . ثم قال صلى الله عليه وسلم : « عبد نور الله قلبه بنور الإيمان » .

فقال حارثة : كأني . ولم يقل : رأيت . لأن ذلك للأنبيا دونه .

وكذلك قول حنظلة الأسد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « تذكرونا الجنة والنار حتى كأننا رأى عين » . ولم يقل : حتى نراها رأى العين . لما قدمناه .

ولو كان المسئول أبا بكر رضى الله عنه ، لم يطالبه الرسول صلوات الله عليه باقامة برهان على ما ادعى ، لأن عظيم رتبة أبى بكر شاهد له من غير إظهار برهان . فأراد الرسول عليه السلام ، أن يعترفنا الفرق بين رتب أصحابه . فمنهم من هو كخارثة لما ادعى حقيقة الإيمان طوبى ببرهانها . ومنهم من هو كأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يُثبت لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الرتب ، وإن لم يثبتوها لأنفسهم .

٤ — وقال فى قوله عليه السلام : « من عَرَف نفسه عرف ربه » . معناه من عرف نفسه بِذُلها وعجزها ، عرف الله بعزه وقدرته .

٥ — وقال فى قوله عليه السلام : « أنا رحمة مهداة » الأنبياء إلى أمهم عطية ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم هدية . وفرق بين الهدية والعطية ، لأن العطية للمحتاجين ، والهدية للمحبوبين .

٦ — وقال فى قوله عليه السلام : « الدنيا سجن المؤمن » شأن المسجون التحديق بعينه ، والإصغاء بأذنيه ، متى يدعى فيجيب .

٧ — وقال فى قوله عليه السلام : « السلطان ظل الله فى الأرض » هذا إذا كان عادلا ، وأما إذا كان جائرا ، فهو ظل النفس والهوى .

٨ — وقال : مات رجل من أهل الصُّفَّة فُوجِد فى شملته ديناران ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كَيْتَانِ من نار » . وقد مات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من الصحابة ، وتركوا أموالا فما قال فيهم ما قال فى هذا . لأنهم لم يبتغوا خلاف ما أظهروا . وهذا الذى كان من أهل الصفة أظهر الفاقة ، وكان عنده هذان الديناران . فلما أظهر خلاف ما أبطن ، قال الرسول عليه السلام : « كَيْتَانِ من نار » .

٩ — وقال فى قوله عليه السلام : « التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة » فبأى طريق يحشر مع هؤلاء ؟ يحشر مع الأنبياء ؛ لأن شأنهم أداء الأمانة ، وبذل النصيحة . وهذا التاجر أدى الأمانة ، وبذل النصيحة

فيحشر مع الأنبياء بهذا الوصف . ويحشر مع الصديقين ؛ لأن الصديق شأنه الصفاء في الظاهر والباطن ، وقد استوى في ظاهره وباطنه . والتاجر الصدوق كذلك . فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف . ويحشر مع الشهداء ؛ لأن الشهيد شأنه الجهاد . والتاجر الصدوق يجاهد نفسه وشيطانه وهواه . فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف . ويحشر مع الصالحين ؛ لأن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام . والتاجر الصدوق هذا شأنه . فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف .

١. — وقال في قوله عليه السلام : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أى لا فخرى بالسيادة ، وإنما الفخرى بالعبودية . ولهذا المعنى كان الشيخ أبو العباس كثيرا ما ينشد :

يا عمرو نادِ عبدَ زهراء * يعرفه السامعُ والرأى
لا تدعني إلا يابِا عبدها * فإنه أشرف أسمائى



تعليقه على أقوال بعض الصالحين :

ولأبى العباس رحمه الله تعليقات على أقوال بعض الصالحين ، كان يفسر بها ما يشكل منها ، أو يبين ما يرمون إليه مما يحول في خواطرهم ، أو يسع لهم في بوادهم ، أو يوضح المعنى الذى يجب أن يفهم منها على الوجه الذى يناسب أحوالهم ، وبالطريقة التى سرّوا عليها ، بأسلوب الصوفية . فمن ذلك :

١ — قوله في قول بشر الحافي ^(١) «إني لأشتهى الشّواء منذ أربعين سنة ، ما صفالى ثمّنه » من ظن أن هذا الشيخ مكث أربعين سنة ما وجد درهما حلالا يشتري به شواء ، فقد أخطأ . من أين له في الأربعين السنة ما يأكل وما يلبس ؟ وإنما المعنى في ذلك ، أن هؤلاء قوم أصحاب مراتب ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يدخلون في شيء ،

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافى . أصله من مرو ، وسكن بغداد . صحب الفضيل بن عياض ، وكان من العلم والورع على جانب عظيم ، ذا شأن كبير في أحواله وسلوكه ، وله كلام في الزهد والنسك يتناقله أتقياء الصوفية . مات ببغداد في ١٠ من المحرم سنة ٢٢٧ هـ (٨٤١ م) .

ولا يخرجون بشيء، ولا يخرجون من شيء، إلا باذن من الله وإشارة . فلو أذن له في أكل الشواء لصفاه له ثمنه .

٢ — وكان الحارث بن أسد المحاسبي^(١)، إذا مديده إلى طعام فيه شبهة، تحرك عليه عرق في أصبعه . فسأل الشيخ أبا العباس سائل فقال : ياسيدي ! قد جاء أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، قُدِّمَ إليه لبن فأكل منه فوجد كدرته في قلبه، فقال : من أين لكم هذا اللبن ؟ فقال غلام له : كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهايتي ! فتقيا أبو بكر رضي الله عنه، ثم قال : والله لو لم يخرج إلا بمصاريبي لأخرجتها . فلم يكن على يد الصديق عرق يتحرك عليه إذا قدم له طعام فيه شبهة . والصديق أولى بكل مزية من سائر الأمة . وقد وزن بالأمة فربحها .

فقال الشيخ أبو العباس : الصديق رضي الله عنه كالوكيل المفوض إليه، مطهر من البقايا، فلا يحتاج إلى الإشارة . والحارث بقيت عليه البقايا، فلذلك ألزم الإشارة حتى لا يدخل في شيء بنفسه وهواه . وأبو بكر طهر من النفس والهوى، فلا يحتاج إلى الإشارة . واعلم أن من حسن اختيار الله لأبي بكر، أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكاف طرحه بعد شربه، فيثيبه الله على ذلك . وأيضاً يجعله قدوة للعباد، فيقتدى به من أكل طعاماً فيه شبهة، ولم يعلم أن الأولى قيئه . وليس لقائل أن يقول : قد ضمنه بأكله، وقد تناول منه أو تناوله وهو غير آثم، إذ هو غير عالم . فإن أبا بكر ما سأل عن اللبن إلا لما وجد له كدرة في قلبه، دل ذلك على أن الحرام أو الشبهة قد يؤثر في القلب كدرة أو قسوة، وإن لم يعلم به متناوله وقت تناوله . وهكذا هم أصحاب التخصص، إن وقع منهم أمر مثل هذا ونحوه . فهو من حسن اختيار الله لهم، حتى يفتح بهم السبيل للعباد . وكما أن من حسن اختيار الله لآدم أكله من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب من الفعل، فيكون قدوة للتائبين . وحتى يتعرف الله بجملة

(١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري . سكن بغداد وأقام بها، وكان من أكابر علماء القوم مع التفوق في الفقه والأصول والمعاملات، وكان عديم النظير في زمانه، وهو أستاذ أكثر البغداديين . وله مصنفات مشهورة، وكتابات مذكورة . توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ (٨٥٧ م) .

فيعلم أنه أكرم الأكرمين بوقفه على وجود ستره ولطفه . فيعلمه أنه اللطيف الخبير بعباده المؤمنين . وليكون أكل الشجرة سببا في النزول ، والنزول سببا في الخلافة .
فلذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : أكرم بها معصية أورثت الخلافة . وقال : والله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

٣ — وقال في حكاية الجُنَيْد إذ قال : دخلت على السري^(١) فوجدته متغيرا ، فقلت له : ما بالك يا أستاذ متغيرا ؟ فقال : دخل على شاب آنفا فقال لي : ما التوبة ؟ فقلت : أن لا تنسى ذنبك . فقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك ! فما تقول أنت يا أبا القاسم ؟ قال : فقلت : القول عندي كما قال الشاب ؛ لأنني إذا كنت في حال الجفاء ثم نقلني إلى حال الصفاء ، فذكر الجفاء في وقت الصفاء ، جفاء .

فقال الشيخ أبو العباس : كلام السري أتم من كلامهما ، لأن السري يدل على مبادئ المقامات ، وكذلك القدوة ملزم بالكلام على مقامات العباد ، بداياتها ونهاياتها ، وإنما تأتي النهايات من البدايات . والجُنَيْد لم يكن في ذلك الوقت بمقام أن يكون قدوة ، وكذلك الشاب . فتكلمنا على أحوال أهل الإرتقاء في نهاياتهم ، فكلامهما ينحصر حالهما ، وكلام السري مهيع مورد للسالكين .

٤ — وقال في قول الجُنَيْد^(٢) : « أدركت سبعين عارفا كلهم يعبدون الله على ظن ووهم ، حتى أخى أبا يزيد ، ولو أدرك صبيا من صبياننا لأسلم على يديه » معنى قوله

(١) هو أبو الحسن السري بن مغلس السقطي . كان أوحداً أهل زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد ، وهو خال الجُنَيْد وأستاذه ، وهو أول من تكلم في التوحيد ببغداد ، وكان مرافقا لمعروف الكرخي . وإليه ينتمي أكثر مشايخ بغداد . وبها مات سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) . ودفن بالشونيزية ، وقبره ظاهر بها مقصود بالزيارة .

(٢) هو سيد الطائفة أبو القاسم الجُنَيْد بن محمد الزجاج . كان أبوه يجبر في الزجاج ، ولذلك قد يقال له القواريري . أصله من نهاوند ، ونشأ بالعراق . وكان فقيها يفتي الناس على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي وراوي مذهبه القديم . صحب خاله السري السقطي ، والحارث بن أسد المحاسبي ، ومحمد بن علي القصاب . وكان من أكابرة الأئمة عند القوم ، وسيدا من أجل ساداتهم . وشهرته ذائعة بينهم . مات ببغداد سنة ٢٩٧ هـ (٩١٠ م) . وقبره بظاهر بغداد ، يقصده العام والخاص للزيارة والتبرك .

يعبدون الله على ظنٍّ ووهم . لا يريد بذلك ظناً في المعرفة ، ووهما فيها ؟ وكيف تجتمع المعرفة والظنُّ أو الوهم . ! وإنما المراد أنهم وصلوا إلى مقامات توهموا أن ليس وراءها للموقنين مقام . وقوله : لو أدرك صبيبا من صبياننا ؛ أى لتبين له أن فوق ذلك المقام مقام ، وفوق ذلك المقام مقام ، إلى ما لا آخر له . ومعنى قوله : لأسلم على يديه . أى لا نقاد له . فالاسلام هو الاتقياد .

٥ — وقال في قول سهل بن عبد الله^(١) « لا تكونوا أبناء الدهور ، ولا أبناء العَدِّ والإحصاء ، وكونوا من أبناء الأزل ، أشقى ، أو سعيد » يقول أحدهم : صليت كذا كذا ركعة ، ختمت كذا كذا ختمة . حججت كذا كذا حجة . فهؤلاء أبناء العَدِّ والإحصاء . فهم إلى عَدِّ سيئاتهم أحوج منهم إلى عَدِّ حسناتهم . وأما أبناء الدهور فيقول أحدهم : لى فى طريق الله سبعون عاما . لى فى طريق الله ستون سنة . وكونوا من أبناء الأزل أشقى أو سعيد . يعنى لاحظوا ما سبق فى علم الله ، ولا لتكلموا على مالكم من العلم والعمل ، ولكن ارجعوا لوجود الأزل .

٦ — وقال فى قول أبى يزيد^(٢) « خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله » إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ، ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء ، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحار التوحيد ، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق ، يدعون الخلق إلى الحوض ؛ أى فلو كنت كاملا لو قفت حيث وقفوا .

٧ — وقال : كان الجنيد قطبا فى العلم ، وكان سهل قطبا فى المقام ، وكان أبو يزيد قطبا فى الحال .

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري . كان أحد أفاضل القوم وأئمتهم ، ومن أكابر علمائهم المتكلمين فى علوم الإخلاص ، والرياضات ، وغيوب الأفعال . توفى سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) .

(٢) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي . كان من كبار الصالحين . صاحب أحوال وأقوال وإشارات ، وله كلام جيد فى معرفة الله تعالى . توفى سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ م) .

٨ — وقال في حكاية سمنون^(١)، وأنه لما أنشد قوله :

وليس لي في سِوَاكَ حُظٌّ * فكيف ما شئتَ فاخترني^(٢)

وابتلى بعلّة الاستبراء — وهي احتباس البول — فتجلد أربعة أيام والألم يزيد . وفي صبيحة اليوم الرابع دخل عليه أحد أصحابه وقال له : ياسيدى ! سمعت البارحة صوتك عند دجلة ، وأنت تستغيث إلى الله ، وتسأل رفع ما نزل بك — ولم يكن فعل ذلك — فعلم أنها إشارة من الله له بالسؤال . فصار يدور على صبيان المكاتب ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب .

قال الشيخ أبو العباس : يرحم الله سمنونا ، ليته عَوْض ما قال : فكيف ما شئتَ فاخترني . كان قال : فكيف ما شئتَ فاعف عني ؟ فطلب العفو أولى من طلب الاختبار .

٩ — وقال : إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض^(٣) ، وإبراهيم ابن أدهم^(٤) ، لأنهما قد تقدّم لهما زمن قطيعة ، ثم أقبلا ، فأقبل الله عليهما . فبدأ بذكرهما بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدّمت منهم الزلات ، وسبقت منهم المخالفات ،

(١) هو أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص . كان من الهائمين في حب الله . وكان يتكلم في المحبة أحسن كلام ، صحب السرى السقطى وغيره من الصالحين . وكان يجلس على شاطئ دجلة وينشد :

كان لي قلب أعيش به * ضاع منى في قلبه

رب فارده على فقد * عيل صبرى في نطفه

وأغث ما دام لي رفق * يا غياث المستغيث به

وكان يسمى نفسه : سمنون الكذاب . مات سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠ م) ببغداد .

(٢) قلت : ليس هذا البيت من شعر سمنون وإنما هو من أبيات تروى للخلاج . انظر صفحة ٧٦

(٣) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التيمى اليربوعى . عربى الأصل ، نراسانى المنشأ . كان مولده بقرية من قرى مرو يقال لها قندين . وكان من أفاضل الصالحين ، وأماثل الزهاد والمتنسين . وله كلمات تعدّ من الحكم الغوالي . توفى بمكة سنة ١٨٧ هـ (٨٠٣ م) .

(٤) هو أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور . كان من أبناء الملوك بكورة بلخ . ثم تجرد للعبادة وطلب الحقيقة ، فساح سياحات كثيرة على قدم الزهد والورع ، وكان من أكابر النساك ، مع وفرة العلم وكثرة العمل . توفى بالشام سنة ١٦٢ هـ (٧٧٩ م) .

ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العنايات، إذ لو بدأ بذكر الجنيد، وسهل بن عبد الله التستري، وعتبة الغلام^(١)، وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله تعالى لقال القائل : ومن يدرك هؤلاء ؟ لم تسبق لهم زلات ، ولم تتقدم منهم مخالفات ؟ ولأن إبراهيم كان من ملوك الدنيا، فأصبح وهو كذلك فما جاء وقت الظهور إلا وهو من كبار الأولياء . فبدأ به صاحب الرسالة ليعلم أن فضل الله ليس بعمل .

١٠ — وقال في قول بعضهم « لا يكون الصوفي صوفيا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة » ليس معنى ذلك ، أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ! وإنما معناه عدم الإصرار . وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور . والملك الموكل بكتب السيئات لا يكتب السيئة حتى ينتظر العبد لعل أن يرجع أو يتوب ، وكلما أراد أن يكتبها ، قال له ملك اليمين : لا تكتب ، فعسى أن يتوب . إلى أن يبلغ عددا : إما لسبع ، وإما لعشر — الشك مني — فحينئذ يكتبها سيئة . فلذلك جاء أن صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال .

١١ — وقال ابن عطاء الله : قرأت على أبي العباس كتاب "الرعاية" للأحاسبي فقال : جميع ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان : اعبد الله بشرط العلم ، ولا ترض عن نفسك أبدا . ثم لم يأذن لي في قراءته بعد .

١٢ — وقال في قول بعض السلف « لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا » . أي لو كشف الغطاء للنفس لم أزدد يقينا فيما طالعه القلب .

١٣ — وقال : كان ببلاد المغرب ولي من الأولياء يتكلم على الناس ، وكان بادنا . فجلس يوما يتكلم على الناس . فقال رجل مكشوف الرأس كبيره : هذا يزهدنا في الدنيا وهو كالدب . . ! فكشف به الشيخ فقال من فوق المنبر : يا أبا رويس ؟ ما سُمِّني إلا حُبّه ! ثم أنشد :

(١) هو عتبة بن أبان (الغلام) وإنما قيل له الغلام لأنه كان في العبادة والاجتهاد كأنه غلام رهبان . وكانت يأوى إلى المقابر ويخرج إلى الصحارى للتفرد والعبادة ، ولا يدخل البصرة إلا في يوم الجمعة . توفي سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) .

وقائِلٍ لستَ بِالمُحِبِّ ولو * كنتَ مُحِبًّا لَذُبَّتْ مَذْزَمِي
أَحِبُّهُ وَالْفَوَادُ فِي حُرْقٍ * لم تَذِقِ الحُبَّ كَيْفَ تَعْرِفُنِي
أَحِبْ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدَنِي * ولو دَرَى مَا أَقَامَ فِي السَّمَنِ

١٥ — وَحَكَى عن الشيخ عبد الرزاق، أن رجلا من أهل المهديّة جاءه، فقال له الشيخ : أرى عليك أثر نعمة، فمن أين أنت، وما قصتك؟ فقال : يا سيدي ! كنت من أكابر المهديّة وأعيانها وأكثرها مالا وعزرا، فورد علينا رجل يدعى أنه من الدالين على الله . فبحثت إليه وأنا متطلع متحرق على الوصول إلى الله . فقال لي : إنك لا تصل إلى هذا الأمر حتى تخرج عن مالك كله، وحتى تطلق نساءك بتاتا، وحتى تغير زيك . . ! ففعلت ذلك، فما ازداد قلبي إلا قسوة . فضاق صدري، وحرّت في أمري، ولم أطق أن أقيم في المهديّة، وقد ذهب ما كنت فيه من المال والجاه، ولم أتعوّض عن ذلك شيئا في باطني، فبحثت إلى ههنا قاصدا للنج . فقال الشيخ : دَعُوا على غير بصيرة، قاتلهم الله . أمكث عندنا ! فلما جاء أوان الحج أرسله الشيخ مع بعض أهل الاسكندرية فحج، ثم رجع إلى الشيخ بالاسكندرية . فلما جاء أوان السفر إلى المغرب قال له الشيخ : إذهب إلى بلدتك، فإذا وصلت إليها فإن الناس يسمعون بك، ويخرجون إليك مسرعين، ويعرضون عليك الملابس والمراكب، فخذ أفضلها مابسا، وأحسنها مريكا، وادخل المهديّة، فما حمل إليك من الدنيا فاقبله، وسيعيد الله إليك ما كان لك وأكثر منه، وتجسد زوجاتك قد طلقهن أزواجهن فراجعهن، وتنال من العز والرفعة والغنى أكثر مما كنت فيه . فاذا تكلم لك ذلك كله فتح الله عيني قلبك . فسافر الرجل وأتى ساحل المهديّة، فسمع الناس أن فلانا أتى من المشرق — وليس في البلدة إلا من له عليه يد ومعروف — فخرجوا يُهرعون إليه بالملابس السنية، والمراكب البهية، فلبس أفضلها مابسا، وركب أحسنها مريكا، ودخل المهديّة، فأهديت إليه الهدايا، وحملت إليه التحف

- والأموال ، ووجد زوجاته قد طلقهن أزواجهن ، وانقضت عدّتهن ، فراجعهن .
فتكلم له جميع ما وعده الشيخ به في ذلك اليوم . ثم فتح الله عينى قلبه .
- ١٦ — وحديث أن ملكا من الملوك قال لبعض العارفين : تمنّى علىّ ؟ فقال له : أتقول لى ذلك ولى عبدان قد ملكتهما وملكك ، وقهرتهما وقهراك ؟ وهما الشهوة والحرص ! فأنت عبد عبدى ، فكيف أتمنى عليك ، وأنت عبد عبدى ! ؟
- ١٧ — وقال فى قول بعض أهل الطريق « العارف وسعته المعرفة ، والورع ضيق عليه التورّع » لا تظن أن قولهم العارف وسعته المعرفة ، أنه يأكل حراما أو ما فيه شبهة ؛ ولكن العارف ذو بصيرة منيرة تكشف له ما غطى عن الورع ، فيمدّ يده إلى الطعام لعلمه بحاله وسلامته من الشبهة ، على ما أشهدته بصيرته . والورع مستور ذلك عنه ، فلذلك ربما مدّ العارف يده إلى ما قبض المتورّع يده عنه .
- ١٨ — وقال فى دعوى بعض أهل الطريق « والله ما جلست مجلسى هذا حتى كان الطيران فى الهواء ، والمشى على الماء ، وطى الأرض ، تحت سجادتى هذه » .
- ١٩ — وقال : جميع ما فى كتب القوم ، عبرات من سواحل بحر الحقيقة .



كلامه على مبادئ أهل الطريق :

قال رحمه الله تعالى :

- ١ — جميع أسماء الله تعالى إذا أسقطت منه حرفا أذهبت دلالة على الله . كالعليم ، والقادر ، والرحيم ، وغير ذلك من أسمائه الحسنى . إلا اسمه « الله » فإنك إذا أسقطت الألف بقى « لله » وإذا أسقطت اللام بقى « له » وإذا أسقطت اللام الثانية بقى « هو » وهو النهاية فى الإشارة . وقال الحسين بن منصور الحلاج ^(١) :

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج الفارسي ، كان من فحول العلماء وأكابر الفضلاء . والناس فى أمره بين معتقد فيه الصلاح ، وبين مرجح غير ذلك . وقد قامت الدعوى ضده عند على بن عيسى الوزير فلم ير النظر فى شأنه فاستعفى وقام على مناظرته حامد بن العباس وكان طاغيا فاختدع الفقهاء وانتزع منهم فتوى بحل دمه فقتل ومثل به جزاء إلحاده . كما زعم . مع أنه كان كثير التعبد والمجاهدة والاستقامة على الطريق . وكان قتله ببغداد سنة ٣٠٩هـ (٩٢٢م) والله أعلم بحاله ، فهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . =

أحرف أربع بها هام قلبي * وتلاشت بها همومي وفكري
ألف ألف الخلائق بالصُّنْد * مع ولأم على الملاية تجرى
ثم لأم زيادة في المعاني * ثم هاء بها أهيم، أتدري؟

٢ — جميع أسماء الله للتخلق، إلا اسمه « الله » فإنه للتعلق . فليكن ذكره :
« الله » فإن هذا الإسم سلطان الأسماء ؛ وله بساط وثمره ؛ وبساطه العلم ، وثمرته
النور . والنور ليس مقصودا لنفسه ، وإنما يقع به الكشف والعيان .

٣ — عبد هو في الحال بالحال ، وعبد هو في الحال بالمحوّل . فالذى هو في الحال
بالحال : عبد الحال ، والذي هو في الحال بالمحوّل : عبد المحوّل . وأماره من هو
في الحال بالحال ، أن يأسى عليها إذا فقدها ، ويفرح بها إذا وجدها . وأماره الذي
هو في الحال بالمحوّل ، أن لا يفرح بها إذا وجدت ، ولا يحزن عليها إذا فقدت .
٤ — كل سوء أدب يثمر لك أدبا ، فهو أدب .

٥ — المؤمن لا يرضى عن نفسه بالخير إذا كان فيه . لأن فوق الخير خيرات .
أتراه يرضى بالشر ؟

٦ — الناس على ثلاثة أقسام : قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم ، فهم في الجنة
قطعا ، وقوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلا يدخلون النار قطعا . وقوم غلبت
سيئاتهم حسناتهم ، فلا يدخلون في النار قطعا .

٧ — الدخول في الجنة بالإيمان ، والخلود فيها بالنية ، والدرجات فيها بالأعمال .
والدخول في النار بالشرك ، والخلود فيها بالنية ، والدركات فيها بالأعمال .

٨ — الكائنات على أربعة أقسام : جسم كثيف ، وجسم لطيف ، وروح
شفاف ، وسر غريب ؛ فالجسم الكثيف يجتزده جماد ، والجسم اللطيف يجتزده
جان ، والروح الشفاف يجتزده ملك ، والسر الغريب هو المعنى المسجود له . فالآدمي

= ومن شعره قوله :

كل بلاء على منى * فليتنى قد أخذت عنى
أردت منى اختبار سرى * وقد علت المراد منى
وليس لى في سواك حظ * فكيفما شئت فاخترنى

بظاهر صورته جماد، وبوجود نفسه وتخليها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك.
وأعطى زائدا على ذلك : السر الغريب . فذلك استحق أن يكون خليفة .

٩ — الأدنى يُشرف على الأعلى ولا يحيط به ، والأعلى يحيط بالأدنى .
فالأولياء لهم إشراف على مقامات الأنبياء ، وما لهم الإحاطة بمقاماتهم ؛ والأنبياء
يحيطون بمقامات الأولياء .

١٠ — ليس العجب ممن تاه في نصف ميل ، أربعين سنة^(١) ، إنما العجب ممن تاه
في مقدار شبر، ستين أو سبعين سنة ، وهو البطن .

١١ — الشوق على قسمين : شوق على الغيبة لا يسكن إلا بقاء الحبيب .
وهو شوق النفوس . وشوق الأرواح على الحضور والمعينة . فإذا رفعك إلى محل
المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل ، فذاك مقام التعريف : إيماننا حقيقيا . وذاك
ميدان تنزل أسرار الأزل . فإذا أنزلك إلى محل المناغرة والجهاد ، فذاك مقام
التكليف المقيد بالعلل ، وهو الإسلام الخفي . ميدان تجل حقائق الأبدية . والمحقق
من لا يبالي بأى صفة يكون . لأن صفتك تميل لا أنت ، والصفة من العين للعين ،
وهو ظهورك . والإسم للسان ، وهو نطقك . والاسم حقيقة الصفة ، والصفة حقيقة
الوجود . والأسرار منزلة عن الوجودية للصدقية . والحقائق متجلية عن الصفات
بالولاية لأهل العلوم الظاهرة ، وعن الاسم بالدليل لأهل السعاية . وإليه الإشارة
بقوله عليه السلام : « يا أبا جحيفة : سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء » .
فالعالم يدلك بالعلم من الأسماء ، ونهايته الجنة . والحكيم المقرب يحملك باليقين
وبالحقائق من الصفات ، ونهايته منازل القربة . وإليه الإشارة بقوله تعالى :
(اِتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) . والكبير يدلك بالأسرار من الوجود على كبير
الصفاء والتزاهة ، ونهايته الله . وتجتمع المراتب الثلاثة في الكبير : فيحمل قوما بالعلم ،
وقوما بالحقائق ، وقوما بالأسرار . وهم الأنبياء ، وأبدال الرسل ، وهم البصراء :

(١) يشير بذلك إلى تيه بنى إسرائيل في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر صحبة سيدنا موسى
عليه السلام . (٢) المناغرة : التزام الثغر والمراطة فيه لجهاد أعداء الله ، والاستشهاد في سبيل الله .

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ . أى على معاينة يعاين لكل صنف طريقهم فيحملهم عليها ، وهى النيابة . أما هو فقد انفرد بحالة لا تعرف لعظيم قربته :

وَعَنَى لِي مَنَى قَلْبِي * وَغَنَيْتُ كَمَا غَنَى
وَكُنَّا حَيْثَا كَانُوا * وَكَانُوا حَيْثَا كُنَّا

١٢ — أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة ، والبليّة ، والطاعة ، والمعصية ؛ والله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية ، يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ؛ فمن كان وقته الطاعة ، فسبيله شهود المنّة من الله عليه ، إزدهادها لها ووقفه للقيام بها . ومن كان وقته المعصية ، فسبيله الاستغفار والتوبة . ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر ، وهو فرح القلب بالله . ومن كان وقته البليّة ، فسبيله الرضا بالقضاء والصبر . والرضا رضى النفس عن الشهوات . والصبر مشتق من الإصبار ، وهو الغرض المنصوب للسهم . وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضاً لسهم القضاء ، فإن ثبت لها فهو صابر . والصبر ثبات القلب بين يدي الرب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أعطى فشكر ، وأبلى فصبر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر » . ثم سكت فقالوا : يا رسول الله ! ماذا له ؟ فقال : « أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » . أى لهم الأمن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا .

١٣ — العارف لا دنياه له ، لأن دنياه لآخرته ، وآخرته لربه . والزاهد غريب فى الدنيا ، لأن الآخرة وطنه . والعارف غريب فى الآخرة ، فإنه عند الله ؛ ولن يصل الولى إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله .

١٤ ✓ — الخوف على قسمين : خوف العامة ، وخوف الخاصة . نخوف العامة على أجسادهم من النار . وخوف الخاصة على خلعتهم التى كساهم الله أن تُدَنَسَ

(١) الصبر فى اللغة : الحبس . وقولهم مات فلان صبراً . أى أمسك وحبس ومنع من الدفاع عن نفسه ثم رعى حتى مات . وأما الإصبار بالمعنى الذى جاء به أبو العباس فلم يعرفه علماء اللغة . على أنه ليس يعمد عن نظر التحقيق فى باب المجاز .

بالمخالفة . والعمامة إذا خُوفوا خافوا ، وإذا رَجَوا رَجَوا . والخاصة متى خوفوا رجوا ، ومتى رجوا خافوا .

١٥ — كان الإنسان بعد أن لم يكن . وسيفنى بعد أن كان . ومن كلا طرفيه فهو عدم .

١٦ — خلق الله الآدمي وقسمه على ثلاثة أجزاء : لسانه جزء ، وجوارحه جزء ، وقلبه جزء . وجعل على كل جزء حفيظا ، فقال : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . وقال : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا نُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ . وتولى حفظ القلب بنفسه ، فقال : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي نُفُوسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ ﴾ . وسلط على الجوارح الشيطان . واقتضى من كل جزء وفاء ما ألزم به : فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم دنيا ، ولا يمكر ولا يحسد . ووفاء اللسان أن لا يغتاب ، ولا يكذب ، ولا يتكلم إلا بما يعنيه . ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها إلى معصية ، ولا يؤذى أحدا من المسلمين . فمن وقع من قلبه فهو متلفظ ، ومن وقع من لسانه فهو كافر ، ومن وقع من جوارحه فهو عاص .

١٧ — صلاح العبد في ثلاثة أشياء : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة الدنيا . فمن عرف الله خاف منه . ومن عرف الدنيا زهد فيها . ومن عرف النفس تواضع لعباد الله .

١٨ — قال لى شىخى : لا تصحب إلا من يكون فيه أربع خصال : الجود فى القلة ، والصفح عن الظلمة . والصبر على البلية ، والرضى بالقضية .

١٩ — لا يدخل على الله إلا من باين : من باب الفناء الأكبر ، وهو الموت الطبيعى . أو من باب الفناء الذى تعنيه هذه الطائفة .

٢٠ — السماء عندنا كالسقف ، والأرض كالبيت . وليس الرجل عندنا من يحصره هذا البيت .

٢١ — نحن فى الدنيا بأبداننا ، مع وجود أرواحنا . وسنكون فى الآخرة بأرواحنا ، مع وجود أبداننا .

٢٢ — الفرق بين معصية المؤمن ، ومعصية الفاجر ، من ثلاثة أوجه : المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ، ولا يفرح بها وقت الفعل ، ولا يصبر عليها بعد الفعل . والفاجر ليس كذلك .

٢٣ — ليس الشأن من تطوى له الأرض ، فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان ، إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه ، فإذا هو عند ربه ^(١) .

٢٤ — خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مقفلة عن الله .

٢٥ — من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرًا على الكبر وهو لا يعلم .

٢٦ — كل شيء هناك الله عنه فهو شجرة آدم . لما أكل من الشجرة نزل إلى الأرض للخلافة ، وأنت إذا أكلت من شجرة النهى تنزل لماذا ؟ إنما تنزل إلى أرض القطيعة .

٢٧ — إن الله لما خلق الأرض اضطربت فارساها بالجبال . قال الله عز وجل : ﴿ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴾ . كذلك لما خلق الله النفس اضطربت ، فارساها بجبال العقل .

٢٨ — ابن آدم ، خلق الله الأشياء كلها من أجلك ، وخلقك لأجله . فلا تستغل بما هو لك عن أنت له . فالأكون كلها عبيد مسخرة ، وأنت عبد الحضرة .

٢٩ — إذا أنا ما مرريد له شيء من الدنيا لا نقول له : اخرج عن دنياك وتعال إلينا . ولكن ندعه حتى تترشح فيه أنوار المنة ، فيكون هو الخارج عن الدنيا بنفسه . ومثل ذلك مثل قوم ركبوا سفينة فقال لهم رئيسها : غدا تهب ريح شديدة ولا ينجيكم منها إلا أن ترموا بعض أمتعتكم ! فارموا بها الآن ! فلا يسمع أحد قوله . فإذا هبت العواصف كان الكيس ^(٢) من يرمى متاعه بنفسه . كذلك إذا هبت عواصف اليقين ، يكون المرديد هو الخارج عن الدنيا بنفسه .

(١) كانوا يقولون إن الأرض تطوى لمن يشاء الله من عباده . فأبوا العباس يوماً إلى الاعتراض عليهم ويضع المعنى في نصاب حسن . راجع ص ٧٦ فقرة ١٨ (٢) الكيس : العاقل الفطن .

٣٠ — إن الولي في فئانه، لا بد أن يبقى معه لطيفة غلمية، عليها يترتب التكليف؛ وذلك كما يكون الإنسان في البيت المظلم، فهو عالم بوجوده، وإن كان غير شاهد له .

٣١ — الغنى الشاكر، أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الشكر صفة أهل الجنة في الجنة . والصبر ليس كذلك . والشكر انفتاح القلب لشهود منة الرب .

يقال : شكر، ومقلوبه كشر . من كشرت الدابة إذا كشفت عن أسنانها .

٣٢ — القبض على قسمين : قبض له سبب، وقبض لا سبب له؛ فالقبض الذي له سبب، يكون للعموم والخصوص . والقبض الذي لا سبب له ، لا يكون إلا لأهل التخصيص .

٣٣ — علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق . والفقيه من انفقاً الحجاب عن عيني قلبه .

٣٤ — قد يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف . والحقائق لديه مشهودة . فتى أعطى العبارة، كان ذلك كالإذن من الله تعالى في الكلام . ويجب أن نفهم أن من أذن له في التعبير، جلت في مسامع الخلق إشاراته . وكلام المأذون له ، يخرج عليه كسوة وطلاوة . وكلام الذي لم يؤذن له ، يخرج مكسوف الأنوار .

٣٥ — منذ دخلت على الشيخ أبي الحسن في القاهرة وهو يُقرأ عليه كتاب "المواقف للنقري"^(١) . وقال لي : تكلم يا بني بارك الله تعالى فيك . أعطيتُ لساناً من ذلك الوقت .

(١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن هارون (ابن عات) النقري الشاطبي الأندلسي ، كان من أكابر العلماء الحفاظ، رحل في طلب العلم، وسمع من خلائق كثيرة في الشرق والغرب، ولا سيما بالاسكندرية ومصر . وكان يسرد الأحاديث والمتون ظاهراً دون أن يخل بشيء منها ، وكان ثقة عدلاً مأموناً مرضى الطريقة ، سالكا سبيل الصالحين ، مع المهابة والوقار والجهاد في سبيل الله . وله تصانيف جيدة ، وكانت وفاته في وقعة العقاب التي حدثت بين مسلمي الأندلس ، وعلى رأسهم الناصر محمد بن يعقوب سلطان الموحدين ، وبين ملوك اسبانيا ومن انضم اليهم من ملوك أوروبا ، سنة ٥٦٠ هـ (١٢١٢ م) . وقد لقبه ابن فرحون بالنقري . ولعله خطأ في الطبع . أما صاحب شذرات الذهب فقد لقبه بالنقري وضبطه بالحروف وقال إنه نسبة إلى نقري ، بطن من أحس . وقد جارينا على هذه النسبة لبرهانه القائم . وقد قال السيد مرتضى إنه النقري وسماه (محمد بن عبد الجبار النقري) وأنه صاحب المواقف والدعاوى والضلال . والظاهر أنهما متغايران .

٣٦ — ما سمعتموه منى ففهمتموه ، فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة .
وما لم تفهموه ، فكلوه إلى الله يتولى الله بيانه ، واسعوا في جلاء مرآة قلوبكم يتضح
لكم كل شيء .

٣٧ — ألورع من ورعه الله . وورع المنقطعين نشأ من سوء الظن ، وغلبة
الوهم . وورع الأبدال والصديقين على البيئة الواضحة ، والبصيرة الفائقة . والله
ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق .

٣٨ — معرفة الولي أصعب من معرفة الله عز وجل . فإن الله تعالى معروف
بكماله وجماله . وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك يا كل كما تأكل ، ويشرب كما تشرب ؟

٣٩ — إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت ، وإذا اتسعت معرفته
احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه . ولحوم الأولياء مسمومة
ولولم يؤاخذوك . فإياك ثم إياك .

٤٠ — علامة حب الدنيا : خوف المذمة ، وحب الثناء . فلو زهد ما خاف ،
ولا أحب .

٤١ — أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة . وعثمان وعلى خلفاء النبوة .

٤٢ — العامة إن رأوا إنسانا ينسب إلى الولاية ، جاء من البرارى والقفار ،
أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم . وكم من بدّل وولى بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالا .
مع أنه هو الذى يحمل أثقلم ويدافع الأغيار عنهم . فمثلهم في ذلك كمثل حمار
الوحش ، يدخل البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخاطيط جلده وحسن صورته .
والحمُر التى بين أظهرهم تحمل أثقلم إلى مواضع أغراضهم ، وتنقل ترائبهم وآلات
بنائهم ، لا يلتفتون إليها .

٤٣ — قوت القوم على أربعة أوجه : مباح ، وحلال ، وطيب ، وصاف .
فالمباح ما كان مستوى الطرفين ، ما على أخذه من عقاب ، ولا على تركه من ثواب .

والحلال ما لم يخطر لك على بال، ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال . والطيب هو ما أخذه العبد بوصف الفناء، إذ لا وصف له مع مولاه . والصابى هو ما عاينه العبد من المنبع . يعنى من عين قدرة الله .

٤٤ — اختلف الناس فى اشتقاق الصوفى ، فمنهم من قال : هو منسوب إلى الصوف ، لأنه لباس الصالحين . ومنهم من قال : هو منسوب إلى الصُّفَّة . يعنى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى نسب إليها أهل الصفة . وهو نسب على غير قياس . وأحسن ما قيل فيه : إنه منسوب لفعل الله به . أى صافاه الله فصوفى ، فسمى : الصوفى . قال الشاعر :

تخالف الناس فى الصوفى وأحتفلوا * وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنع هذا الإسم غيرتى * صافى فصوفى حتى سمي الصوفى

٤٥ — الصوفى مركب من حروف أربعة : الصاد، والواو، والفاء، والياء . فالصاد : صبره، وصدقه، وصفائه . والواو : وجده، وودّه، ووفائه . والفاء : فقده، وفقره، وفناؤه . والياء : ياء النسبة . فإذا تكمل فيه ذلك أضيف إلى حضرة مولاه .

المروى من نثره ونظمه

لم أعر للشيخ أبى العباس على رسائل مستفيضة يتبين منها بلاغة نثره .
ولم أجده ، بعد التحزى والإستقصاء ، غير رسالة موجزة . سأعرضها هنا ، وإن لم
تكن مما يصح اتخاذه دليلا على البلاغة فى الترسلى . على أن فى ما مضى من كلامه الكفاية
فى إبانة بلاغته ، على منهج أهل عصره . أما نظمته فهو من النوع الذى يسكن إليه
أرباب الطريقة ، ومتحلو مسالك الحقيقة . وسأعرض منه خير ما روى عنه .

وهذه رسالته الموجزة :

لما حضر إلى الاسكندرية مع شيخه أبى الحسن كتب إلى بعض أصحابه
بتونس يقول :

وقد صحبت رأسا من رؤوس الصديقين ، وأخذت منه سرا لا يكون إلا لواحد
بعد واحد . والشرح يطول ، وبه أفخر ، وإليه أنتسب ، وهو أبو الحسن
الشاذلى . وكان لا يصحبه أحد إلا فتح الله عليه فى يومين أو ثلاثة ، فإن لم يجد
شيئا بعد ثلاثة أيام فهو كذاب ، أو يكون صادقا ولكنه أخطأ الطريق . ودليله
من كتاب الله عز وجل : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . وسمعتة يقول : إذا عرضت لك حاجة إلى الله فاقسم عليه بى !
فكنت والله لا أذكره فى شدة إلا انفرجت ، ولا أمر صعب إلا هان . وأنت يا أنى
إذا كنت فى شدة فاقسم على الله به . وقد نصحتك ، والله يعلم ذلك . والسلام .

وهذا ما اخترته مما عثرت عليه من شعره ، على أنه شعر من طراز لا يشبع نهمة

الأديب ، وإن كان مما يرضى عنه المتصوف الأريب .

سئل يوما عن النفس والروح ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ سَائِلَنَا عَنْ خَالِصِ الْمَنِّ * وَعَنْ تَأْلِيفِ ذَاتِ النَّفْسِ بِالْبَدَنِ

وَعَنْ تَشْبِيْهِهَا بِالْحَظِّ مَذْأَلَفَتْ * أَدْرَانَهَا فَغَدَتْ تَشْكُو مِنَ الْعَطَنِ

وعن بواعثها بالطبع مائلة * تهوى شهوتها في ظلمة الشجن
 وعن حقيقتها في أصل معدنها * لا ينثنى وصفها منها إلى وثن
 وعن تنزلها في حكمها ولها * علم يفرقها في القبح والحسن
 فاسمع هديت علوماً عز سالكها * على البيان ولا يفررك ذو لسن
 قصد إلى الحق لا تخفى شواهدا * قامت حقائقها بالأصل والفن
 ياسائلي عن علوم ليس يدركها * ذو فكرة يفهم لا ولا فطن
 لكن ينور علي جامع تحدث * له العقول وكل الخلق في وسن
 خذها إليك بحق لست جاهله * والأمر مطلع والحق قيدني
 على الحقيقة خذ علم الأمور ولا * تحجبك صورتها في عالم الوطن
 ففطرة النفس سر لا يحيط به * عقل تقيد بالأوهام والدرن
 لكنها برزت بالحكم قائمة * حتى تألفها السكان بالسكن
 وكى يقال عبيد قائمون بما * ألقى من الأمر قبل الخلق والمحن
 والنفس بين نزول في عوالمها * كآدم ولله حواء في قرن
 والروح بين ترق في معارجها * وهي الموافق للتعريف والمين
 من الحجاب دنت أنوارها فبدت * نور تنزل بين الماء والدمن
 مثالها في العلى مرآة معدنها * أطافها خفيت كالسر في العلى
 زيتونة زيتها نور لصاحبها * قامت حقائقها بالأصل والقن
 ونار دعوتها ماء لشاربها * مدت هدايتها في الكون والكين
 والكل أنت بمعنى لا خفاء به * والنور يحجبه كالماء في اللبن
 والعبد محتجب في عز مالكيه * دقت معارفه في الدهر والزمن

وقال في الشاء على الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي الحسن الشاذلى :

سلام على من علا نوره * علينا ففى مثله يرغب
 كريم مناقبه جمه * على الحق يبنى ولا يرهب

ولم لا وخير الورى جده * له منه سيف به يضرب
ويحكم ما شاء فى وقته * بنور من الله لا يكذب
هو النور يحيى بأوصافه * وبحر زلال لمن يشرب
هو السرى سعى بامداده * محب على الحق لا يهرب
فشاهده روحا لذاتك إن * أردت الأمور التى تطلب
ترى القوم فى بحره أنجما * ولكن إلى سمتة تذهب
يزيد على القوم علما به * يفوق الأنام ولا يسلب
لقد فتح الله فى وقته * قلوبا عن الحق لا تحجب
وينسقى به حاسد جاحد * بعيد عن الحق مستصعب
وإنى مقرّ بتخصيصه * فمن مثله فى الورى يصحب
ومنا عليكم سلام به * نلاقى العداة ولا نغلب

وكتب إلى أخيه أبى عبد الله جمال الدين يحثه على التمسك بالفضائل :

وإذا أردت من السلوك أجله * فالزهدي الدنيا مع السمات الحسن
واعبد آلهك حيث كنت على الرضا * تحظى بما قد ناله أهل المن
أهل الولاية والهداية والتقى * هم سادتي فبهم أصول على الزمن
أحمد لا تنس عيشك منهم * أشهده روحك إذ بها قام البدن
واجعله منك لذاته من وصفه * تجدد التحقق فى السرية والعلن
والله يعلم أننى لك ناصح * لا مدحة أبغى بذاك ولا ثمن
والله حسبي والمؤيد ربنا * وهو المعين على الأمور كما ضمن

وقال ابن عطاء الله : وجدت بخط شيخنا أبى العباس هذه الأبيات :

أعندك من ليلى حديث محرر * بإيراده يحيا الرميم وينشُر
فعمهدي بها العهد القديم وإنتى * على كل حال فى هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورنى * ولما يزر ما باله يتعذر

فهل بخلت حتى يطيف خيالها * أم اعتل حتى لا يصح التصور؟؟
ومن وجهه ليلى طلعة الشمس تستضي * وفي الشمس أبصار الورى لتحير
وما احتجبت إلا برفع حجابها * ومن عجب أن الظهور تستر
ومن شعره قوله :

ذاب رسي وصح صدق فنائي * وتجلت للسر شمس سمائي
وتزلت في العوالم أبدى * ما انطوى في الصفات بعد صفائي
فصفاتي كالشمس تبدى سناها * ووجودي كالليل يخفى سوائى
أنا معنى الوجود أصلا وفصلا * من رآني فساجد لبهائى
أنا نور لأهله مستبين * إشهدوني فقد كشفت غطائي
وإلى هنا نمسك القلم قليلا، بعد أن وفينا أبا العباس حقه من نواح عدة،
ثم نطلقه لنمضى في التحدث عن باقى نواحيه . لا سيما عن الناحية التى يستبين فيها
فضله ، بذكر أعلام تلاميذه ومريديه .

تلاميذه ومريده

لم يترك الشيخ أبو العباس شيئا من آثاره القلمية : علمية كانت أو أدبية ،
أو صوفية ، تلك التى كان يصح أن يرجع إليها على وجه الزمن . فلم يؤلف كتابا ،
ولم يقيد درسا قط . شأنه فى ذلك شأن شيخه أبى الحسن الشاذلى — كما قيل —
وكان يقول : إن علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول
عوام الخلق ، فكتبتى قلوب أصحابى .

وهو وإن لم يترك مؤلفات تخلد ذكره ، وتذيع فضله ، فقد ترك مريدين ،
وتلاميذ ، وأصحابا ، تكفلوا له بخلود الذكر ، وإذاعة الفضل .

وقد اخترنا من أوائلهم وخواصهم ثلاثة ، كل واحد منهم إذا وزن بأمة رجحها ،
وهم : البوصيرى ، وابن عطاء الله السكندرى ، وياقوت العرشى . فأما :

البوصيرى

فهو الشيخ العارف بالله، الأديب البليغ، والشاعر المجيد، والصوفي المتحقق،
أشعر علماء عصره، وأبلغ فصحاء دهره. شرف الدين، أبو عبد الله : محمد
ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجى .
كان أحد والديه من بوصير. قرية بصعيد مصر. والآخر من دلاص . فركبت
النسبة منهما ف قيل " الدلاصيرى " ثم نسب إلى بوصير ، ولعلها بلد أبيه . فغلبت
عليه فاشتهر بالبوصيرى .

وكان مولده بناحية دلاص في يوم الثلاثاء أول شوال سنة ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) .
وتلقى علومه ومعارفه على طائفة من علماء عصره ، كأبى حيان^(١) ، وأبى الفتح ابن
سيد الناس^(٢) ، والعز بن جماعة^(٣) ، وغيرهم . وما زال مكبا على الدرس والتلقى حتى اتسعت
(١) هو إمام عصره فى اللغة والنحو والقراءات : أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن على الغرناطى
الأندلسى . ولد سنة ٦٥٤ هـ . وأخذ علومه عن جماعة من علماء بلده ثم حضر إلى الديار المصرية ، وأخذ عن
شيوخها ، واختص ببهاء الدين بن النحاس . وتقدم فى النحو ، واللغة ، والتفسير ، والحديث ، والتاريخ . وطار
صيته واشتهر اسمه فى حياة شيوخه ، وألف الكتب المتبعة ، تناولها الناس وأكبروا عليها . وأخذ عنه أكابر
عصره وفيهم من يفوقه سنا ومكانا . وله شعر حسن . فمن مشهوره قوله :

عداى لهم فضل على ومنّة * فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا

هم يحشوا عن ذلقى فاجتنبها * وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وكانت وفاته بالقاهرة فى ١٨ من صفر سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) ودفن بمقبرة الصوفية .

(٢) هو فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (ابن سيد الناس) اليعمرى الاشبلى الأندلسى المصرى . كان إماما
من أكابر الحفاظ ، شافعى المذهب . ولد سنة ٦٧١ هـ . وتلقى علومه على أكابر مشيخة عصره فى مصر ، وذاع
صيته واشتهر أمره وقصده الناس للأخذ عنه والاستفتاء فى مختلف العلوم . وله مؤلفات فى فنون شتى من أشهرها
"عيون الأثر" فى سيرة سيد البشر . وله الخط الجليل ، والشعر البديع ، والنادرة الفذة ، والمحاضرة الحسنة . ونثره
من الجودة بمكان . وكانت وفاته فى ١١ شعبان سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٤ م) . ودفن بالقراة الصغرى عند ابن أبى حمزة .
(٣) هو عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ابن جماعة) الكنانى الحوى . ولد بدمشق
فى سنة ٦٩٤ هـ . ونشأ فى بيت العلم فأخذ عن والده قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وغيره . وحضر مع والده إلى
مصر ، وأخذ عن شيوخها ، وولى القضاء بالديار المصرية ، وحدث وأفتى ، وصنف ، وجمع مرارا . قال الذهبى :
وكان خيرا صالحا حسن الأخلاق كثير الفضائل . استغنى فى أواخر عمره من القضاء . ثم جمعات بمكة فى جمادى الآخرة
سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٦ م) . ودفن بمقبرة باب المعلى إلى جانب الفضيل بن عياض بئنه وبين أبى القاسم القشبرى .

معارفه ، وأتقن العلوم على أنواعها من عقلية ونقلية ، وبرع في صنوف الآداب ، فأجاد صناعة المتشور والمنظوم ، وبذ أقرانه في فنون الشعر .

ولما ظهرت عليه مخايل النجابة ، واستوت له معاني الإصابة ، عين رأسا على مباشرة الجبايات بالشرقية ، وأتخذ بلبس مقاماله . وكان مقربا من الحكام ذا حظوة عندهم ، يحضر مجالسهم ، ويسمعون شعره ، ويتنقلون بنوادره . وكان يكتب عنهم في أغراضهم التي تحتاج إلى بلاغة وترسل . وظل في وظيفته هذه إلى أن رأى من بعض زملائه ما لم يطمئن إليه ، مما لا يتفق مع التعفف والأمانة ، فزهدت نفسه في الوظيفة وتركها غير آسف عليها .

خير أن الله تعالى نظر إليه بعين عنايته ، وأراد به الخير فشمله بكريم رعايته ، ووفقه إلى صحبة الشيخ أبي العباس المرسى ، فلزمه ملازمة صادقة ، وحضر مجالسه ، وأخذ عنه علوم الحقيقة ، وظهرت عليه بركته حتى فاق أهل زمانه ، ورزقه الله من الشهرة وذبوع الذكر وبعد الصيت ، ما لم يصل إليه أحد من أقرانه .

وله الشعر الفائق ، والنثر الرائق ، والاطلاع الواسع ، والعلم النافع . ولو لم يكن له إلا قصائده الثلاث ، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى : الحمزية ، والمضرية ، والبردة ، لكفاه فخرا .

وقد حاول كثير من الأدباء في عصره مجاراته في واحدة منها فلم يتهيا لهم ذلك . ولهذا قال الحافظ ابن حجر الهيتمي ^(١) : إن الإمام برهان الدين القيراطى ^(٢) ، مع جلالة

(١) هو شيخ الإسلام حافظ عصره شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ابن حجر) الهيتمي الكفائي المسقلاني المصري . ولد سنة ٥٧٧٣ هـ . وتلقى علومه على مشايخ العصر . واشتغل بالتجارة وبرع فيها . وكان أديبا مليح الشعر ، حسن النثر . ثم طلب الحديث فسمع الكثير حتى فاق أقرانه ، وتصدّر للدرس والإفادة وقصده الطلاب من مختلف الأمصار . وولاه الأشرف برسباي قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية . وما زال في هذا المنصب بين مباشرة وعزل إلى أن اختار العزلة فاستعفى وانقطع في بيته ملازما للاشتغال بالتصنيف . فوضع مؤلفات كثيرة في علوم متنوعة . وكانت أوقاته مقسمة للطلبة مع كثرة المطالعة والتأليف والنصدي للافتاء . وكان مقتفيا في سيرته آثار السلف الصالح . وكانت وفاته في ١٨ من ذي الحجة سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٩ م) . ودفن بالرميلة .

(٢) هو برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين عبد الله بن محمد (القيراطى) كان مولده في سنة ٥٧٢٦ هـ . لازم علما عصره وأخذ عنهم علوما شتى حتى برع في الفنون ، ودرس بأماكن عدة وفاق أقرانه في الأدب ، =

وتضلعه في العلوم النقلة والعقلية ، وتقدمه على أهل عصره في العلوم العربية والأدبية ، لا سيما علم البلاغة ، ونقد الشعر ، وإتقان صنعته ، وتميز حلوه من مره ، ونهايته من بدايته ؛ أراد أن يحاكي الهمزية ففاته الشنب ^(١) . وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب .

وقال الحافظ ابن سيد الناس : البوصيري أحسن من الجزار والوراق ^(٢) .

= وأفتن في النثر والنظم إلى أن اشتهر بالبراعة ، وبعد صيته في البلاغة . وكان أحد أفراد الفضلاء في عصره بمصر . وله ديوان شعر . ومن أبدع ما قال في الخال :

كان خديه ديناران قد وزنا * فخر الصير في الوزن واحتاطا
فشح بعضهما عن وزن صاحبه * فزاده من فتيت المسك قراطا
والظاهر أنه لقب بالفيراطي لهذا . سافر إلى الحجاز وجاور بمكة ، فات هناك في ربيع الآخر سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) .
(١) ينظر في هذا إلى قول الشاعر : * لقد حكيت ولكن فانتك الشنب *
والشنب عذوبة الريق ولعان الأسنان .

(٢) هو جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم (الجزار) المصري ، كان جزارا ، وكان ينظم الشعر فيستجاد منه ، ثم ترك الجزارة وأخذ في قول الشعر ، فذبح الملوك والأمراء ، وعاتب الإخوان والأصدقاء ، وهجا الخصوم والأعداء . وكان كريما جوادا متلافا لا يكاد يبق على مال وقع في يده . وهذه حالة كل أديب حقا . وكانت بينه وبين السراج الوراق مداعبة ، فرمد السراج فأهدى إليه الجزار تفاحا وكثيرا ، وكتب مع ذلك يقول :

أكافيك عن بعض الذي قد فعلته . * لأف لمولانا على حقوقا
بعثت خدودا مع نهود وأعينا * ولاغرو أن يجزي الصديق صديقا
وإن حال منك البعض عما عهدته * فإ حال يسوما عن ولاك وثوقا
بنفسج تلك العين صار شقا قفا * ولؤلؤ ذاك الدمع عاد عقيقا
وكم عاشق يشكو انقطاعك عندما * قطعت عن الذات منه طريقا
فلا عذمتك العاشقون فظالما * أقت لأوقات المسرة سوقا
ومن طريف شعره قوله :

سقى الله أسخاف الكخافة بالقطر * وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبأ لأوقات المخلل إنها * تمر بلا نفع وتحسب من عمرى
أهـم غراما كلما ذكر الحمى * وليس الحمى إلا القطارة بالسمر
وأشفاق إن هبت نسيم قطائف السحور سحيرا وهي عاطرة النشور
ولى زوجة إن تشهى قاهرية * أقول لها ما القاهرية في مصر

توفي في شوال سنة ٦٧٩هـ (١٢٨١م) . ودفن بالقراءة .

(٣) هو سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري . كان من أشهر أدباء مصر في عهده ، وكان شاعرا مكثرا حسن التصرف ، بديع الألفاظ ، جيد المعاني . توفي سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٦م) .

وما زال موضع إجلال العلماء والأدباء، ملتزما طريق الخير، منتهجا في التقوى والورع والصلاح السبيل القويم، والصراط المستقيم. إلى أن أتاه أمر الله فتوفى سنة ٥ أو ٦ أو ٦٩٧ هـ. على ما قاله المقرئ وصاحب شذرات الذهب، ولكن ذهب شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى أنه توفى سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) ورأى أن هذا هو الصواب. ودفن في قبره الذي شيد عليه مسجده المعروف بالاسكندرية بجوار مسجد أبي العباس إلى الآن.

أما مؤلفاته فهي قصائده الثلاث المشهورة، وهي "الهمزية" وقد تسمى "أم القرى" في مدح خير الوري، "والبردة" وقد تسمى "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" كما قد تسمى "البردة" و"المضرية" وشهرة هذه القصائد تغني عن الإطناب في ذكرها.

وقد أخذ الأدباء والعلماء منذ عصر المؤلف في شرح هذه القصائد، وتشطيرها، وتنجيسها، وتسبيحها، ومجاراتها، ومعارضتها إلى اليوم.

وأشهر من حاول مجاراتها من معاصرينا: محمود سامي باشا البارودي، وأحمد شوقي بك، رحمهما الله.

وله ديوان شعر ضمنه الكثير من شعره في فنون شتى. وياحبذا لو طبع هذا الديوان، فمنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية.

وقد عثرت على كثير من شعره مفترقا في شتى الكتب، فاخترت منه ما أورده هنا:

قال يمدح أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسى أستاذه في التصوف، وهي قصيدة تقع في أكثر من ١٤ بيتا، تخيرت منها ما يأتي:

كُتِبَ المِشِيبُ بِابْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ * بِقَضَاءِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الحُرْدِ
نَحَلْتُ عَيُونََ الحُورِ حِينَ وَصَفْتُهَا * وَصَفَ المِشِيبِ وَقَلْنِي لَا تَبْعِدِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَهَا * ذَهَبَ الشَّبَابُ وَمَا أَمْرُؤُ بِمُجْلِدِ
إِنْ الفَنَاءَ لِكُلِّ حَيٍّ غَايَةً * مُحْتَمَةً إِنْ لَمْ تَكُنْ فَكَأَنَّ قَدِ

قذفت به أيدي النوى من حالي * سامي المحل إلى الحضيض الأوهدي
 حمل الهوى جهلا بأنقال الهوى * مستنجدا بعزيمة لم تُجبد
 ما إن يزال بما تكلف حماله * في خُطتي خسيف يروح ويغتدي
 غرضا لامر لا تطيش نبأله * ومعرضا لمعنّف ومُفَنّد^(١)
 وخليفة في الارض إلا أنه * متوعدّ فيها وعيد الهدهد^(٢)
 أنفاسه تُحصى عليه وعلمها * يُفنى إليه غدا له حكم الغد^(٣)
 أبدا تراه واجدا أو عادما * في حيرة لقطاتها لم تُنشد^(٤)
 يُسمى ويصيح مُتّهما أو مُنجدا * لمعاذيه مع مُتهم أو مُجبد^(٥)
 متخوف منه المصير لِلمزل * مستوبل المرعى وبئ المورد
 ما إن رأى الجاني به أعماله * إلا تمنى أنه لم يوجد
 حسي له حب النبي وآله * عند الإله وسيلة لم تردد
 صلى عليه الله إن صلاة من * صلى عليه ذخيرة لم تنفد
 واسمع مدائح آل بيت المصطفى * مني ودونك جمعها في مُفرد^(٦)
 صنو النبي أخو النبي وزيره * ووليّه في كل خطب مؤيد
 جد الإمام الشاذلي المتّمي * شرفا إليه بسيد عن سيد
 أعني أبا الحسين الإمام المجتبي * من هاشم ، والشاذلي المولّد

(١) يشير بهذا إلى قوله تعالى : ﴿ وتنفق الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين .
 لأعذبه عذابا شديدا أولأذبحه أو ليأتيني بسلطان مبين ﴾ يعني أن الإنسان في هذه الحياة واقع تحت حكم
 الوعد ، كما كان ذلك الهدهد .

(٢) يريد بالواجد : الغنى المومر . وبالعادم : الفقير المعسر . فهو على الحالتين في حيرة لا يدري
 كيف يتصرف ، كما أن واجد اللقطة يكون في حيرة إذا لم ينشدها ، أي إذا لم يناد عليها بحكم الشرع .

(٣) المتهم : من أتى تهامة . والمنجد : من أتى نجدا . والمراد التشبيه .

(٤) الخطب المؤيد : الشديد الوقع .

إِنَّ الْإِمَامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقَهُ * فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ الْمُهْتَدِي
فَانْقَلِ وَلَوْ قَدَمَا عَلَى آثَارِهِ * فَإِذَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ أَخْذٌ بِالْيَدِ^(١)
وَاسْلُكْ طَرِيقَ مُحَمَّدٍ بِشَرِيعَةٍ * وَحَقِيقَةَ وَمُحَمَّدِيٍّ الْمُحْتَدِ
قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرُومُ الْمُنْتَهَى * مِنْ رَبِّهِ وَلَهُ اجْتِهَادُ الْمُبْتَدِي
قُلْ لِلْمَحَاوِلِ فِي الدُّنُو مَقَامُهُ * مَا الْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ كَالْمُتَعَبِّدِ
وَالْفَضْلُ لَيْسَ بِنَالِهِ مُتَوَسِّلُ * يَتَوَرَّعُ حَرَجٌ وَلَا يَتَرَهَّدُ
إِنْ قَالَ ذَلِكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ * كَحُلِّ الصَّحِيحِ خِلَافُ كَحُلِّ الْأَرْمَدِ
يَمْشِي الْمَصْرُوفُ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ * يَمْشِي بِحُكْمِ الْحَجَرِ مَشْيَ مُقْبِدِ
مَنْ كَانَ مِنْكَ يَنْظُرُ وَيَسْمَعُ * أَتَحَالُ مِنْهُ عَلَى حَدِيثٍ مُسْنَدِ
لِكُلَيْهِمَا الْحَسَنَى وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْا * فِي رَتْبَةٍ وَقَدْ اسْتَوْا فِي الْمَوْعِدِ
كُلُّ لِمَا شَاءَ الْإِلَٰهَ مَيَسَّرُ * وَالنَّاسُ بَيْنَ مَقَرِّبٍ وَمُسَدِّدِ
وَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْعِنَايَةُ فَاسْتَرَحْ * وَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْعِنَايَةُ فَاجْهَدْ^(٢)
أَفِيدَى عَلَيَا بِالْوُجُودِ وَكُنَّا * بِوُجُودِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ نَفْتَدِي
قُطِبَ الزَّمَانِ وَغَوَّثَهُ وَإِمَامُهُ * عَيْنُ الْوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الْمَوْجِدِ
سَادَ الرِّجَالِ فَقَصُرَتْ عَنْ شَأْنِهِ * هِمُّ الْمَارِبِ لِلْعَلَى وَالْمُنْشِدِ
فَتَلَقَّ مَا يَلْقَى إِلَيْكَ فَنَطَقَهُ * نَطَقَ بِرُوحِ الْقُدْسِ أَيْ مُؤَيِّدِ
إِمَّا صَرَرَتْ عَلَى مَكَانٍ ضَرِيحِهِ * وَشَمِيتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تُرْبِ نَدِ
وَرَأَيْتَ أَرْضًا فِي الْفَلَاةِ بِحَضْرَةِ * مَخْضَلَةٍ مِنْهَا يَقَاعُ الْفَرْقِدِ
وَالْوَحْشُ آمِنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا * حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَسْجِدِ

(١) فذلك أخذ باليد : فهذا هو العهد الذي لا رجوع فيه ولا نقض له .

(٢) على : هو أبو الحسن الشاذلي .

فقل السلام عليك يا بحر الندى الطامى ويا بحر العلوم المزيـد
يا وارثا بالفرض علم نبيه * شرفا وبالتعصيب غير مفنـد
اليوم أحمد من علي وارث * حظى علي من وراثته أحمد^(١)
يعزى الإمام إلى الإمام ويعتري * للبتي يهداه فضل المقتدى
والمرء في ميزانه أتباعه * فاقدر إذا فضل النبي محمـد
خير الورى صلى عليه الله ما * صدع الأسى قلبا يسجع مفرد
وسرى السرور إلى القلوب فهزها * مسرى النسيم إلى القـضيب الأملد
شرفا لمُرسية رست أساسها * بعلا أبى العباس فوق الفرقـد
اليوم قام فتى علي بعده * كـما يبلغ مرشدا عن مرشـد
فكان يوشع بعد موسى قائم * بطريقه المثلى قيام مؤكـد
فليقصد المستمسكون بحبله * دار البقاء من الطريق الأقصـد
وإذا عزمت على اتباع سبيله * فاسمع كلام أحن النصيحة ترشـد
فإنظام أعمال التقى آدابها * فاصحب بها أهل التقى والسؤدد
وتجنب التأويل فى أقوال من * صاحبت من أهل السعادة تسعد
قد فرق التأويل بين مقرب * يوم السجود لآدم ومبـد
وحذار أن يثق المرید بنفسه * واحزم فى الإصلاح شأن المفسد
فاصحب أبا العباس أحمد آخذا * يد عارف بهوى النفوس منجـد^(٢)
فإذا سقطت على الحبير بدائها * فاصبر لمُسر دوائها وتجلد^(٣)
ما زال يعطفها على مكروها * حتى زكت وصفت صفاء العسجد

(١) أحمد : هو أبو العباس المرمى . (٢) المنجد : الحازم المجرب للأموال العارف بحقائقها

(٣) الضمير فى يعطفها : راجع إلى النفوس .

وأجيب داعيها لرد مشرد * من أمرها طوعا وجمع مبدد
 لم تترك التقوى لها من عادة * ألفت ولا لمريضها من عود
 وليهن أحمد كيمياء سعادة * صحت فلا نار عليها تعتدى
 جعلته لم ير للحقيقة طالبا * إلا يمد إليه راحة مجتدى
 ألفاظه مبذولة بذل الحيا * ومصونة صون العذارى الخرد
 كل يروح لشرب راح علومه * طربا كفصن البانة المتأود
 ضمن الوقار لها اعتدال مزاجها * فشرابها لا ينبغي لمعريد
 فضحت معارفها معارف غيرها * والزيف مفضوح بنقد الجيد
 كشفت له الأسماء عن أسرارها * فإذا الوجود لمقلتيه يمرصد
 وأرته أسباب القضاء مبينة * للمستقيم بعلمها والمالحيد
 قل للذين تكلفوا زى التقى * وتخبروا للدرس ألف مجلد
 لا تحسبوا كل الجفون بحيلة * إن المها لم تكتحل بالإثميد^(١)
 من أملت التقوى عليه أنفقت * يده من الأكوام لا من مزود
 وأبيك ما جمع المعالي وأدعى * جمع الألوف من الحساب على اليد
 إلا أبو العباس أوحده عصيره * أكرم به في عصيره من أوحده
 أفنته في التوحيد همه واجد * شذت مقاصدها عن المتشدد
 ساحت رجال في القفار وإنه * ليسيح في الملكوت طرف مسهد
 وله سرائر في العلى خطارة * خطارها وركابها لم تشدد
 والمستقيم أخو الكرامة عنده * لا كل من ركب الأسود بأسود
 وأجل حال معامل تبعية * أخذت إلى أدب المريد بمقدود

(١) المها : بقر الوحش ، وهو مشهور بسعة العيون وكلها . والشعراء يضربون به المثل في ذلك

فَاتَى مِنَ الطَّرِيقِ الْقَرِيبِ مَنَاطُهَا * وَأَتَى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ
سَيْفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاضٍ حُدُّهُ * فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ وَهْدِدِ
أُنْتَنِي عَلَيْهِ بِظَاهِرٍ وَبِإِطْنٍ * لِأَسْرٍ مِنْهُ يُغْمَدُ وَبُجْرِدِ^(١)
مِنْ مَعْشِرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَابَقُوا * مَعَهُ الرِّيحُ بِكُلِّ نَهْدٍ أَجْرِدِ^(٢)
مِنْ كُلِّ ذِمْرٍ كَالصَّبَاحِ جَبِينُهُ * دَرِبْ بِخَوْضِ الْمَعْضَلَاتِ مَعْقِدِ^(٣)
وَبِكُلِّ أَسْمَرٍ أَزْرِقِ فَوَلَادُهُ * وَبِكُلِّ أَيْضٍ بِالنَّجِيعِ مُورِدِ
شَهِدَ النَّهَارَ لِفَاضِلٍ بِمَسَدِّ * مِنْ رَأْيِهِ وَلِطَائِعٍ بِمَسَدِّ
وَتَمَخَضَتْ ظِلْمَ اللَّيَالِي مِنْهُمْ * عَنْ رُكْعٍ لَا يَسَامُونَ وَتُجَدِّ
خَافَ الْعَدُوَّ مَغِيبَهُمْ لِشُهُودِهِمْ * وَالْمَوْتَ يَكُنْ فِي الْحَسَامِ الْمَغْمَدِ
السَّاتِرِ وَالْعُورَاتِ مِنْ قَتْلِ الْعِدَى * يَوْمَ الْحَفِيفَةِ بِالْقَنَا الْمُتْقَصِدِ^(٣)
وَالطَّاعِنِوِ النَّجْلَاءِ يُدْخِلُ كَفَّهُ * فِي إِثْرِهَا الْآسَى مَكَانَ الْمُرُودِ
مَسْتَمِطِرًا بِرَكَاتِهِ مِنْ رَاحَةٍ * أَنْذَى مِنَ الْغَيْثِ السَّكُوبِ وَأَجُودِ
سَلِّ مِنْ سَلِيلِهِمْ سُلُوكَ سَلِيلِهِمْ * يُرْشِدُكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الْأَحْمَدِ
فَوَاهِبُ الرَّحْمَنِ بَيْنَ مَصُوبٍ * مِنْهَا لِرَاجٍ رَحْمَةٌ وَمُصَمِّدِ
يَا مَنْ أَمْتُ لَهُ بِحَفِظِ ذِمَامِهِ * وَبِحَسَنِ ظَنِّي فِيهِ لِي مُسْتَعِيدِ
مَوْلَايَ دُونَكَ مَا شَرَحْتُ بَوَازِيهِ * وَرَوِيهِ قَلْبَ الْكَيْتِيبِ الْأَكْمَدِ
فَاقْبَلْ شَهَابَ الدِّينِ عَذْرَ فَرِيدَةٍ * عِذْرَاءُ تُذَرِّي بِالْعِذَارَى النَّهْدِ
مَعْسُولَةٌ أَلْفَاظُهَا مِنْ كَامِلٍ * فَابْرِدْ حَشًّا مِنْ رِيْقِهَا بِمَبْرَدِ
طَلَعَتْ مَجْمَرَةً فَضْلُهَا بِكَوَاكِبِ * دُرِيَّةٌ مُحْفُوفَةٌ بِالْأَسْعَدِ

(٢) الذمر : الرجل الشجاع الماضي

(١) نهد أجرد : جواد تام الخلق قوى الشد .

في الأمور . (٣) الآسى : الطيب البارع

بعثت إليك بها بواعث خاطير * متجيب لجنابكم متودد
صادفت دراً من صفاتك ثمناً * فأعرتني صفات منضد
جاءت تسائلك الأمان الخائف * من ربقة بذنوبه متوعد
فاضمن لها درك المعاد ضمانها * بالفوز منك لسامع ولينشد
فإذا ضمنت له فليس بخائف * من مبرق يوماً ولا من مرعد
جاء النبي لكل عاص واسع * والفضل أجدر باقتراح المجتدى

وقال من قصيدة يشكو بها حاله ، وبعث بها إلى أحد الوزراء :

يا أيها المولى الوزير الذى * أيامه طائفة أمره
ومن له منزلة فى العلا * تكلم عن أوصافها الفخره
إليك نشكوا حالنا إننا * حاشاك من قوم أولى عُسره
فى قلة نحن ولكن لنا * عائلة فى غاية الكثره
أحدث المولى الحديث الذى * جرى لهم بالخيط والإبره
صاموا مع الناس وليكنهم * كانوا لمن أبصرهم عبره
إن شربوا فالبئر زير لهم * ما برحت والشربة الجره
لهم من الخبز مصلوقة * فى كل يوم تشبه الذشره
أقول مهما اجتمعوا حولها * تزهوا فى الماء والخضره
وأقبل العيد وما عندهم * قح ولا خبز ولا فطره
فارحمهم إن عاينوا كعكة * فى كف طفل أو رأوا تمره
تشخص أبصارهم نحوها * بشهية تتبعها زفره
كم قائل يا أبى منهم * قطعت عنا الخير فى كره

ما صرتَ تَأْتِينَا بِفَلِسٍ وَلَا * بِدِرْهَمٍ وَرِقٍ وَلَا تَقْرَه
وَأَنْتِ فِي خِدْمَةِ قَوْمٍ فَهَلْ * تَخْدِمُهُمْ يَا أَبَتِي سُخْرَه
وَيَوْمَ زَارَتْ أُمَّهُمْ أَخْتَهَا * وَالْأَخْتَ فِي الْغِيْرَةِ كَالضَّرَه
وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا * وَصَبْرَهَا مِنِّي عَلَى الْعِشْرَه
قَالَتْ لَهَا : كَيْفَ تَكُونُ النِّسَاءُ * كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَا عَرَه
قَوْمِي أَطْلُبِي حَقَّكَ مِنْهُ بِلَا * تَخْلُفِي مِنِّي وَلَا فَتْرَه
وَإِنْ تَأْبَى نَحْيِي ذَقْنَه * وَانْتِفِيهَا شَعْرَه شَعْرَه
قَالَتْ لَهَا : مَا هَكَذَا عَادَتِي * فَإِنْ زَوْجِي عِنْدَه ضَجْرَه
أَخَافُ إِنْ كَلِمَتَه كَلِمَةٌ * طَلَقْنِي ! قَالَتْ لَهَا : بَعْرَه
وَهَوْنَتْ قَدْرِي فِي نَفْسِهَا * بِخَاءِ الزَّوْجَةِ مَجْتَرَه
فَقَاتَلْتَنِي فَتَهَدَّدْتَهَا * فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرَه
وَحَقُّ مَنْ حَالَتْهُ هَذِهِ * أَنْ يَنْظُرَ الْمَوْلَى لَهُ أَمْرَه

وقال يمدح الشيخ أبا العباس المرسى :

أَمَّا الْحُبَّةُ فَهِيَ بِذَلِّ نَفْسٍ * فَتَنْعَمِي يَا مَهْجَتِي بِالْبُوسِ
بِذَلِّ الْحَبِّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعَهُ * وَطَوَى حِشَاءَهُ عَلَى أَحْرَارِ سَيْسِ
صَدَّقَ وَقَلَ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ * لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ أَمْرٌ وَبِجُلُوسِ
قِيلَ لِلَّهِ تَقَرَّبِي بِمَدِيحِهِ * وَتَوَجَّهِي لِجَنَابِهِ الْمُحْرُوسِ
رُمْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَعْجَزَنِي السَّرَى * وَأَبَاحَنِي مَرَاهُ غَيْرَ يَوْسِ
أَكْرَمَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ زِيَارَةً * لَكَ إِنَّهُ عِنْدِي بِأَلْفِ نَحْمِيسِ
كُلِّ اتِّصَالَاتِ السَّعِيدِ سَعِيدَةٌ * بِمِثَابَةِ التَّثْلِيثِ وَالتَّسْدِيسِ

شرفاً لِشاذِلَةٍ ومُرسِيَةٍ سرت * لهما الرِياسة مِن أَجلِ رُئيس
ما إِن تَسَبَّتْ إِلَيْهِما شَيْخِيهِما * إِلَّا جَلَوْتُهُما جِلاءَ عِروس
وقبل أن يخرج الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور سيف الدين قلاوون
إلى أخذ عكا، وذلك في سنة ٦٩٠ هـ . رأى البوصيرى في منامه قائلاً يَنشده :

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صَكا
وساق سلطاننا إِلَيْهِم * خيلاً تَدكُ الجِبَالَ دَكا
وأقسم الترك منذ سارت * لا تَركوا لِلْفِرْنَجِ مَلِكا
فأخبر بذلك بعض أصحابه فأشاعوها، وكانت فالاً حسناً .
وكانت للبوصيرى حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته . فأخذها وجهز
له ثمنها مائتي درهم، فكتب على لسانها "الملوكة حمارة البوصيرى" :

يا أيها السيد الذي شَهِدت * أخلاقه لي بِأنه فَاضِلٌ
ما كان ظَنى يَبِيعُنِي أَحَدٌ * قَطُّ وَلَكِن صَاحِبِي جَاهِلٌ
لو جرسوه على مِن سَفَهٍ * لَقَلْتُ غِيظاً عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ
أَقصَى مرادى لو كُنْتُ في بَلَدِي * أَرعى بِها في جِوانِبِ السَّاحِلِ
وبعد هذا فما يَحِلُّ لَكم * أَخَذى لِأَنى مِن سَيدى ...
فردّها الناظر إِلَيْهِ ولم يأخذ الدِراهم منه .

وقال يصف بعض تصرفات كتاب الجبايات ومستخدمي المباشرة بالشرقية :

نَقَدْتُ طِوائِفَ المُستخدَمينا * فلم أَرِ فِيهِم رِجلاً أَمِيناً
فقد عاشَرْتُهُم وَلَبِثْتُ فِيهِم * مع التَّجَرِيبِ مِن عُمرى سِنِينا
فمَكانُ الشِّمالِ هُم جَمِيعاً * فلا صَحِبتُ شِمالُهم الِيمِينا
فكم سَرَقوا الغِلالَ وما عَرَفنا * بِهِم فَكانَهم سَرَقوا العِيونَ
ولولا ذاك ما لَبَسوا حَريراً * ولا شَرَبوا نَحَورَ الأَندَرِينا

ولا ربوا من المردان مُردًا * كأغصان تملن وتحيننا
وقد طلعت ببعضهم ذقونٌ * ولكن بعد ما حلّقوا ذقونا
وأقلام الجماعة جائلاتٌ * « كأسياف بأيدي لا عيننا »^(١)
وقد سارقتهم حرفا يحرف * وكل اسم يخطوا منه سينا
أمولاي الوزير غفلت عما * يتم من اللثام الكاتيينا
تنسك معشرٌ منهم وعدوا * من الزهاد والمتورعينا
وقيل : لهم دعاء مستجاب * وقد ملأوا من السحت البطونا
تفقهت القضاة نغان كل * أمانته وسموه الأميننا
وما أخشى على أموال مصر * سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون : لنا حقوق * بها ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط : نحن ملوك مصر * وإن سواهم هم غاصبوننا
وحلّت اليهود يحفظ سبت * لهم مال الطوائف أجمعينا
وما ابن قطيبة إلا شريك * لهم في كل ما يتخطفونا
أغار على قرى فاقوس منه * يحور يمنع النوم الجفونا
وصيرعينا حملا ولكن * لمتزله وقاتها خزيننا
وأصبح شغله تحصيل تير * وكانت رآؤه من قبل نونا
وقدمه الذين لهم وصول * فتم نقصه صلة اللذيننا
وفي دار الوكالة أي نهب * فليتك لو نهبت الناهييننا
فقام بها يهودى خيث * يسوم المسلمين أذى وهونا
إذا ألقى بها موسى عصاه * تلقفت القوافل والسفيننا
وشاهداهم إذا أنهموا يؤدى * عن الكل الشهادة واليميننا

(١) هذا الشطر مستعار من قصيدة لمهمل بن ربيعة الشاعر الجاهلى المشهور .

قال الصلاح بن شاكر : وهى طويلة إلى الغاية . وقد اختصرت من أبياتها كثيرا ، وله فيهم غير ذلك . وشعره فى غاية الحسن واللطافة ، عذب الألفاظ ، منسجم التركيب .

وقال مداعبا من قصيدة أولها :

أَهْوَى وَالْمِشِيبُ قَدْ حَالَ دُونَهُ * وَالتَّصَانِي بَعْدَ الْمِشِيبِ رُغُونُهُ
أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ : * إِنَّ حَبِي لَا يَدْخُلُ الْقَيْنِينَ
كَيْفَ أَعْصَى الْهَوَى وَطِينَةَ قَلْبِي * بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونُهُ
سَلَبَتْهُ الرِّقَادُ بَيْضَةً خَدِيرَ * ذَاتُ حَسَنِ كَالدَّرَةِ الْمَكْنُونُهُ
سُتِمَتْهَا قَبْلَهُ تُسْرِهَا النَّفْسُ * سَسْ فَقَالَتْ : كَذَا أَوْ كُونَ حَزِينُهُ
قُلْتُ : لَا بَدَّ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الدَّ * أَرِ فَقَالَتْ : عَسَى أَنَا مَجْنُونُهُ
قُلْتُ : سِيرِ فَإِنِّي لَكَ خَيْرٌ * مِنْ أَبٍ رَاحِمٍ وَأُمٍّ حَنُونُهُ
أَنَا نَعِمَ الْقَرِينَ لَوْ كُنْتَ تَبَغِي مِنْ حَلَالٍ وَأَنْتِ نَعِمَ الْقَرِينُهُ
قَالَتْ : اضْرِبْ عَنْ وَصَلِ مِثْلِي صَفْحًا * وَاضْرِبْ الْخُلَّ أَوْ تَصِيرْ طَحِينُهُ
لَا أَرَى أَنْ تَمْسِنِي يَدَ شَيْخٍ * كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لَطِشَتِي مَشِينُهُ
قُلْتُ : إِنِّي كَثِيرُ مَالٍ فَقَالَتْ : * هَبْكَ أَنْتَ الْمُبَارِزُ الْقَارُونُهُ
سَبْدَى لَا تَخَفْ عَلَى خُرُوجَا * فِي عُرُوضِي فَقَطْنَتِي مَوْزُونُهُ
كُلْ بِحَرِّ إِنْ شَتَّتَ فِيهِ اخْتِيرَنِي * لَا تَكْذِبْ فَإِنِّي يَقِطِينُهُ

هذا ما رأيت اختياره من شعره .

وإلى هنا ينتهى الحديث عن البوصيرى ، ولناخذ فى ذكر زميله .

وأما :

ابن عطاء الله السكندري

فهو الشيخ الداعية إلى الله تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم "ابن عطاء الله" الجذامي السكندري . كان إماما عارفا بفنون المعارف ، جامعا لصنوف العلوم ، وأنواع الآداب والفهوم ، من : نحو ، وصرف ، وبيان ، وأصول ، وأدب ، وفقه ، وتفسير ، وحديث . وكان حسن النظر في مذهبي الشافعي ومالك ، كما كان كاتباً حسن الديباجة . وشاعراً جيد الاتجاه نحو المعاني الروحية .

وبعد بحث ونظر وتحقيق صحب الشيخ أبا العباس المرمي وتلقى عنه فنون التصوف ، وتخرج عليه في علوم القوم وآدابهم ، وبرع في الوقوف على مبادئهم ، وتعترف أسرارهم .

ولترك ابن عطاء الله يتحدث عن أسباب اتصاله بأبي العباس ، وعن ما جريات ذلك . قال :

كنت لأمر أبي العباس من المنكرين ، وعليه من المعترضين ؛ لا شيء سمعته منه ، ولا شيء صح نقله عنه . حتى جرت بيني وبين بعض أصحابه مقالة . وذلك قبل صحبتي إياه . وقلت لرجل منهم : ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة وظاهر الشرع يأبأها . ثم قلت في نفسي : دعني أذهب إلى هذا الرجل وأنظر في شأنه ، فصاحب الحق له أمارات لا تخفى . فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها . فقال : الأول إسلام ، والثاني إيمان ، والثالث إحسان . وإن شئت قلت : الأول عبادة ، والثاني عبودية ، والثالث عبودة . وإن شئت قلت : الأول شريعة ، والثاني حقيقة ، والثالث تحقق . أو نحو هذا . فما زال يقول وإن شئت قلت ، وإن شئت قلت ، إلى أن بهر عقلي . وعلمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهي ، ومدد رباني . فأذهب الله ما كان عندي .

قال : ثم أتيت تلك الليلة إلى المنزل فلم أجد في شئنا يقبل الإجتماع بالأهل على عادتي، ووجدت معنى غريباً لا أدري ما هو، فانفردت في مكان أنظر إلى السماء، وإلى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته . فحملني ذلك على العود إليه مرة أخرى .

قال : فأتيت إليه فاستؤذن لي عليه، فلما دخلت إليه قام قائماً وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت نجلاً، واستصغرت نفسي أن أكون أهلاً لذلك . فكان أول ما قلت له : ياسيدي ! أنا والله أحبك . فقال : أحبك الله كما أحببتني . ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان . فقال :

أحوال العبد أربع لا خامس لها : النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية . فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار .

فقممت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته .

ثم سألني بعد ذلك بمدة : كيف حالك ؟ فقلت : أفتش على الهم فما أجده . فقال :

ليلى بوجهك مشرق * وظلامه في الناس سارى
والناس في سدِّ الظلام * ونحن في ضوء النهار

لأزم ! فوالله لئن لزمتم لتكونن مفتياً في المذهبيين .

يريد مذهب أهل الشريعة من أصحاب العلوم الظاهرة، ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علوم الباطن .

وقال يوماً سمعت الطلبة يقولون : من صحب المشايخ لا يحمى منه في العلم الظاهر شيء . فشق عليّ أن يفوتني العلم، وشق عليّ أن تفوتني محبة الشيخ . فجئت إليه فوجدته يأكل لحماً بجمل، فقلت في نفسي : ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده ! فما استتممت الخاطر إلا وقد وضع في فمي لقمة من يده، ثم قال : نحن

إذا صحبنا تاجرا ما نقول له أترك تجارتك وتعال ، أو صاحب صنعة ما نقول له أترك صنعتك وتعال ، أو طالب علم ما نقول له أترك طلبك وتعال . ولكن تترك كل واحد فيما أقامه الله تعالى فيه ، وما قسم له على أيدينا هو واصل إليه . وقد صحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما قال لتاجر أترك تجارتك ، ولا لذي صنعة أترك صنعتك ، بل أقترهم على أسبابهم ، وأمرهم بتقوى الله فيها .

وقال : دخلت يوما على الشيخ أبي العباس ، وفي نفسي ترك الأسباب والتجرد ، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر ، قائلا : إن الوصول إلى الله لا يكون على هذه الحالة . فقال لي — من غير أن أبدى له شيئا — : صحبني بقوص إنسان يقال له ابن ناشي^(١) — وكان مدرسا بها ، ونائب الحكم فيها — فذاق من هذا الطريق شيئا على أيدينا ، فقال : يا سيدي ! أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك ؟ فقلت له : ليس الشأن ذا ! ولكن امكث فيما أقامك الله ، وما قسم لك على أيدينا هو إليك واصل . ثم قال : هكذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق هو الذي يتولى إخراجهم . فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ، وكأنها كانت ثوبا نزعته ، ورضيت عن الله فيما أقامني فيه .

وقال : وقلت لبعض أصحاب الشيخ أبي العباس : أريد لو نظر الشيخ إلى بعانيته وجعاني في خاطره ! فقال ذلك للشيخ ، فلما دخلت إليه قال : لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره ، بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم ، فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده . ثم قال : أي شيء تريد أن تكون ؟ والله ليكون لك شأن . والله ليكون لك شأن عظيم ... فكان من فضل الله سبحانه وتعالى ما لا ننكره .

(١) هو الشيخ تقي الدين إبراهيم بن أحمد بن ناشي القوصي . كان من فقهاء الشافعية ، نائبا في القضاء بقوص ، وكان يلقي دروسه على طلبة المدرسة العزيزة بساحل قوص . ولما ذهب الشيخ أبو العباس المرسي إلى قوص في إحدى رحلاته . صحبه ابن ناشي وأخذ عنه مبادئ السلوك وطريق القوم ، وكانت وفاته بها سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م) .

وقال : أخبرنى سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال : قلت للشيخ : هم يريدون أن يصدروا ابن عطاء الله فى الفقه ! فقال الشيخ : هم يصدّرونه فى الفقه ، وأنا أصدّره فى التصوّف . ثم دخلت عليه فقال لى : إذا عوفى الفقيه ناصر الدين^(١) يجلسك فى موضع جدك ، ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية ، وتكلم إن شاء الله فى العلمين ! فكان ما أخبر به .

قلت : وقد صدق الشيخ أبو العباس فى نبوءاته عن ابن عطاء الله . فلقد صار أعجوبة زمانه فى علوم التصوّف وآداب السلوك ، وأنطقه الله بالحكم الغوالى ورفع شأنه فى عيون العلماء والأمرء وأرباب الحكم ، حتى لقد جلس بين يديه شيخ الإسلام الإمام تقي الدين السبكي^(٢) . وتخرج عليه فيمن تخرج فى علوم أهل الطريقة . ويروى عنه أنه كان صاحب إشارات وأقوال ، ومصدر كرامات وأحوال ، ذا قدم راسخة فى الوعظ والإرشاد . وقد استوطن القاهرة واتخذ له كرسيًا بالجامع الأزهر يتكلم عليه ، فى جموع من العلماء والفقهاء والطلبة والعامّة . ولما كان معروفًا بسعة العلم واستقامة الطريقة ، كان لوعظه أثر صالح فى القلوب ، وكان فى دروسه هذه يروح الأرواح ، ويهذب النفوس ، ويشرح كلام أهل الحقائق وأزباب الطرائق ، بآثار السلف وفنون المعارف ، حتى لقد طلبه السلطان لاجين لسماع كلامه .

(١) هو العلامة الشيخ ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور (ابن المنير) الجذامى الاسكندراني المالكي قاضى الاسكندرية وفاضلها المشهور . كان من أبرع أهل زمانه فى الفقه والأصول والنظر ، وكان أدبياً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، ولغوياً فائقاً . له تصانيف البليغة ، والمؤلفات الجيدة فى مختلف الفنون . وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : الديار المصرية تفنخر برجلين فى طرفها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالاسكندرية . وكان مولده فى سنة ٦٢٠ هـ . وتوفى بالاسكندرية فى أوّل ربيع الأوّل سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) .

(٢) هو علامة زمانه الشيخ تقي الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى الأنصارى السبكي . انتهت إليه رئاسة العلوم فى عهده ، وهو من طبقة ابن دقيق العيد وأمثاله ، وكان متبحراً فى العلوم على اختلاف أنواعها . وله المؤلفات القيمة فى شتى المعارف ، وهو بقية أهل الاجتهاد . كان مولده بسبك من أعمال المنوفية فى سنة ٦٨٣ هـ . وتوفى بجزيرة الفيل على شاطئ النيل فى ٤ جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) .

قال ابن عطاء الله : لما اجتمعت بالسلطان الملك المنصور لاجين^(١) رحمه الله . قلت له : يجب عليكم الشكر لله ، فإن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرخاء ، وانشرت قلوب الرعايا بكم . والرخاء أمر لا يستطيع الملوك تكسبه ولا استجلابه ، كما يتكسبون العدل والجود والعطاء . قال : وما هو الشكر ؟ قلت : الشكر على ثلاثة أقسام : شكر باللسان ، وشكر بالأركان ، وشكر بالحنان . فشكر اللسان : التحدث بالنعمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ . وشكر الأركان : العمل بطاعة الله . قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ . وشكر الحنان : الإعراف بأن كل نعمة فمن الله . فقال : وما الذى يصير به الشاكر شاكرا ؟ قلت : إذا كان ذا علم فبالتبين والإرشاد ، وإذا كان ذا غنى فبالبذل والإيثار للعباد ، وإذا كان ذا جاه فبإظهار العدل فيهم ودفع الأضرار والأنكاد . فسر بذلك غاية السرور .

ولابن عطاء الله المصنفات النافعة ، والكلمات الرائعة ، والحكم البالغة ، والشعر الفائق ، والنثر الرائق ، ومعظم ذلك فى الأخلاق والتصوف وآداب السلوك ومبادئ الحقائق . فمن مصنفاته البديعة :

”لطائف المنن“ فى ”مناقب أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن“ الشاذلى . و ”التنوير فى إسقاط التدبير“ و ”المرقى إلى القدس الأبقى“ و ”الحكم العطائية“ وهى حكم منثورة فى تقويم النفوس وإصلاح الأرواح . ولما صنفها عرضها على شيخه أبى العباس ، فلما تأملها قال له : يا بنى ! لقد أتيت فى هذه الكراسة بمقاصد الأحياء وزيادة . ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق من معانيها ، وراق من عباراتها ، وبسطوا القول فيها وأكثروا من شروحيها . و ”تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس“ و ”مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح“ و ”التحفة“ ولعلها هى

(١) هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصورى . كان من عمالِك السلطان قلاون ومقدميهم . تولى ملك مصر فى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وكان شهيدا هماما دينا عادلا محبا للعلماء مقربا للفضلاء . قتل سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٨ م) . وبقي العرش بعده خاليا ٤١ يوما .

”تحفة الخلان في شرح نصيحة الإخوان“ و”حزب النور وتمام السرور“. وأكثر هذه الكتب مطبوع متداول، وبعضها لا يزال مخطوطا .

وأما شعره فهو من الطراز الحسن الذي يروق أهل الطريق . وقد اخترت منه ما يأتي :

قال يمدح شيخه أبا العباس المرسى :

قَفَّ بِالْديَارِ فَقَدْ بَدَا مَغْنَاهَا * فَلَمِنْ تَسِيرٍ وَمَا الْمَرَادُ سِوَاهَا ^(١)
وَأَرِحَ قِلَاصَكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمُنْحَنَى * فَلَطَالَمَا جُهِدْتَ وَدَامَ سُورَاهَا ^(٢)
وَلَطَالَمَا قَطَعْتَ مَهَامَهُ وَاعْتَدْتَ * أَرْسَاغُهَا مَخْضُوبَةٌ بِيَدِهَا ^(٣)
تُمْسِي وَتُصْبِحُ لَا تَمَلُ مِنَ السُّرَى * حَتَّى تَشْكُتَ أَيْنَهَا وَوَجَاهَا ^(٣)
رِفْقًا بِهَا يَا أَيُّهَا الْحَادِي وَلَا * تَغْرِى بِهَا فَالشَّوْقُ قَدْ أَغْرَاهَا
يَكْفِي الَّذِي لَاقَتْهُ مِنَ أَلَمِ السُّرَى * وَكَفَى بِهَا وَجَدًا بِهَا وَكَفَاهَا
أَوْ مَا تَرَاهَا كَيْفَ تُجْرِي دَمْعَهَا * حَتَّى تَبِلَ مِنَ الدَّمُوعِ سَرَاهَا
يَحْدُو بِهَا نَحْوَ الدِّيَارِ غَرَامُهَا * وَيَقُودُهَا نَحْوَ الْحَيِّبِ هَوَاهَا
فَازَتْ بِأَنْ وَصَلَتْ إِلَى أَحِبَّاءِهَا * فَتَمَایَلَتْ وَالشَّوْقُ حَشْوُ حَشَاهَا
حَنْتَ وَأَنْتِ إِذْ رَأَتْ وَادِيَ النِّقَا * وَاسْتَبَشَرْتَ مِنْهُ بِنِيلِ مَنْهَا
فَسُرُورَهَا كَسُرُورِ أَيَّامِ غَدَا * فَيُفِيهَا ”أَبُو الْعَبَّاسِ“ شَمْسُ ضَحَاهَا
تَاهَتْ بِأَحْمَدٍ إِذْ أَتَاهَا رَحْمَةٌ * وَغَدَتْ بِهِ بَيْنَ الْوَرَى تَبَاهَى
وَتَشْرِفَتْ أَوْقَاتُهَا بِمَجِيبِهِ * وَتَحَلَّتِ الْإَيَّامُ مِنْهُ حِلَاهَا
وَعَدَا يَسُدُّ أَمْرَ دِينَ مُحَمَّدٍ * فَازَاحَ عَنْهَا كُورَةُ وَجَلَاهَا

(١) مغناها : مواضع نزول أهلها .

(٢) القلاص : النوق الشواب .

(٣) الأين : الإعياء . والورجى : الحفا وهو دقة خف البعير .

إِن تَلَقَّه تَلَقَى إِمَامًا رَاسِحًا * حَبْرًا مَنِيْبًا صَادِقًا أَوْامًا
 قَدْ كُنْتُ فِيهِ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا * وَتَجَمَّعَتْ فِيهِ عَلَى أَنْحَرَاهَا
 كَمْ سُنَّةٍ مَّائَتْ فَأَحْيَا رَسْمَهَا * كَمْ بَدْعَةٍ عَقِدَتْ فُحْلَ عُرَاهَا
 كَمْ مَنْ أَتَاهُ وَالْمَعَاصِيَ دَابَّةً * قَدْ قَبِدَتْهُ نَفْسُهُ يَهْوَاهَا
 فَازَالَ عَنْهُ مَا بِهِ فَتَقَشَّعَتْ * عَنْهُ سَحَابٌ ظَلَمَةٌ يَدْجَاهَا
 كَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ أَمِيتَتْ بِالْهَوَى * أَحْيَا بِهَا مِنْ بَعْدِ مَا أَحْيَاهَا ^(١)
 أَحْيَيْتَ عِلْمَ الْقَوْمِ فِي زَمَنِ بِهِ * قَلَّ الْمُسَاعِدُ فَانْجَلَتْ ظَلَمَاهَا ^(٢)
 وَأَتَيْتَ غَوَاثًا لِلْأَنَامِ وَقَبْلُ ذَا * رُكِبَتْ مُحَارِمٌ وَاسْتَبِيحَ حِمَاهَا
 وَغَدَوْتَ تَرْفُلُ فِي ثِيَابٍ مَعَارِفٍ * وَلَبِستَ مِنْ حُلِيِّ التَّقَى أَسْنَاهَا
 مَا زِلْتَ حَتَّى طَاوَعْتَكَ نَفُوسُنَا * فَازَلْتَ عَنْهَا جَهْلَهَا وَعَمَاهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَفِرْتَ بِهَا وَتَحَكَّمْتَ * فِينَا وَزَلْتَ عَنْ سَبِيلِ هِدَاهَا
 ذَلَّلْتَهَا حَتَّى أَنتَ مَنْقَادَةٌ * مِنْ بَعْدِ مَا جَمَعْتَ وَعَزَّ شِفَاهَا
 فَلِذَاكَ أَضْحَى وَدَهَا لَكَ خَالِصًا * بَشَرَى لَهَا فِي وَدَّهَا بَشَرَاهَا
 فغَدَوْتَ أَعْلَى هَمِّهَا فِي جَهْرِهَا * وَكَذَاكَ أَيْضًا أَنْتَ فِي نَجْوَاهَا
 مَا زِلْتُمْ وَتَهْدُونَ أُمَّةَ أَحْمَدٍ * فَبِكُمْ تَكْمِلُ بِرَهَا وَتَقَاهَا
 قَدْ كَانَ قِدَمًا بِالْبَرِيَّةِ حَيْرَةٌ * حَتَّى أَتَى قَطْبُ الْوَرَى فَهْدَاهَا
 بِالشَّاذِلِ تَقَشَّعَتْ ظَلَمَاتُهَا * وَتَنُورَتْ مَجِيشُهُ أَفْقَاهَا
 كَثُرَ التَّقَى عِلْمُ الْهَدَى بِحَرِّ النَّدَى * قَطْبُ الْبَرِيَّةِ غَوَاثُهَا مَلْجَاهَا

(١) هذا المعنى من أبرع المعاني وأجلها . فهو يقول إنه أحيا قلوبا فأحييت هذه القلوب قلوبا آخر
 كان الهوى قد أماتها .

(٢) علم القوم : هو علم التصوف ومبادئ السلوك .

من كان إن خطب أَلَمَّ حماها * وزوى بها عن صَرفه ووقاها
 كهف تلوذ به البرية كلها * ترجوه في لأوائها ورخاها^(١)
 حتى نوفاه الإله فيالها * من نعية قد حازها وحوها
 وخلفته في حاله ومقامه * بالإرث منه فارتقيت علاها
 الله أبقى للبرية أحدا * وأقامه فيها لكي يرها
 إن الذين تعرضوا لفخاره * طبقت جفونهم على أقذاها
 إن تنكروا الآيات وهي ظواهر * فلقد تبدت واستنار سناها
 هم يعلمون بأنه قطب الورى * لكنه غلب النفوس شقاها
 أو ما ترى قوم النبي محمد * جحدوا ولحوا في الجحود سفاها
 مع عليهم أن النبي محمدا * كان الرسول أتى لها يهداها
 فأنام غيظهمو المليك ولم يزل * في حالة يرضى بها مولاهها
 تهدي إليك المكرمات بإسرها * وتسال من رتب العلى أقصاها

وكتب إلى بعض إخوانه هذه الأبيات :

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا * ونحن قعود ما الذى أنت صانع
 أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم * صريع الأمانى والغرام ينزع^(٢)
 وهذا لسان الكون ينطق جهرة * بأن جميع الكائنات قواطع
 وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ * رمى بالسوى لم تختدعه المطامع
 ومن أبصر الأشياء والحق قبلها * فغيب مصنوعا بمن هو صانع

(١) اللاؤاء : الشدة .

(٢) شبه الكائنات بقواطع الطير التى تفارق أوكارها فى أقاصى البلاد إلى أدانها طلبا للرزق ثم تعود إلى تلك الأوكار . فالكائنات جاءت من العدم إلى الوجود وسعود من الوجود إلى العدم .

بِوَادِهِ أَنْوَارٍ لِمَنْ كَانَ ذَاهِبًا * وَتَحْقِيقِ أَسْرَارٍ لِمَنْ هُوَ رَاجِعٌ
فَقُمْ وَانْظُرِ الْأَكْوَانَ وَالنُّورَ عَمَّهَا * فَفَجَّرَ التَّدَانِي نَحْوَكَ الْيَوْمَ طَالِعٌ
وَكَنَ عَبْدُهُ وَالْقِيَادَ الْحَكِيمَةَ * وَإِيَّاكَ تَدِيرُهَا فَمَا هُوَ نَافِعٌ
أَتُحَكِّمُ تَدِيرًا وَغَيْرَكَ حَاكِمًا * أَأَنْتَ لِأَحْكَامِ الْإِلَهِ تُشَارِعُ؟؟
فَمَحْوِ إِرَادَاتٍ وَكُلِّ مَشِئَةٍ * هُوَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعٌ؟؟
كَذَلِكَ سَارَ الْأَوَّلُونَ فَأَدْرَكُوا * عَلَى إِثْرِهِمْ فَلْيَسِّرْ مَنْ هُوَ تَابِعٌ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبِكْ مَنْ كَانَ طَالِبًا * وَمَا لُمْتُ مَنْ يَجِبُ لَوَائِعِ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبِكْ مَنْ كَانَ بَايَا * أَيَذْهَبُ وَقْتُ وَهْوٍ بِاللَّهِوِ ضَائِعٌ؟؟

وقال في قيمة العتب، وهو معنى حسن :

لَا تَسْتَغِلْ بِالْعَتَبِ يَوْمًا لِلْوَرَى * فَيُضَيِّعُ وَقْتُكَ وَالزَّمَانُ قَصِيرٌ
وَعِلَامُ تَعْتِبِهِمْ وَأَنْتَ مُصَدِّقٌ * إِنْ الْأُمُورُ جَرَى بِهَا الْمَقْدُورُ
هُمْ لَمْ يُؤَفَّقُوا لِلْإِلَهِ بِحَقِّهِ * أَتُرِيدُ تَوْفِيَةً وَأَنْتَ حَقِيرٌ
فَاعْرِفْ حَقُوقَهُمْ عَلَيْكَ وَقُمْ بِهَا * وَاسْتَوْفِ مِنْكَ لَهُمْ وَأَنْتَ صَبُورٌ
وَإِذَا فَعَلْتَ فَأَشْهَدَنَّ بَعِينَ مِنْ * هُوَ بِالْخَفَايَا عَالِمٌ وَخَيْرٌ

وقال في رفع الهمة عن الخلق، وأنه شيمة أهل الحق :

بَكَرْتَ تَلُومَ عَلَى زَمَانٍ أَجْحَفَا * فَصَدَفَتْ عَنْهَا عَالِمًا أَنْ تَصْدِفَا
لَا تَكْثُرِي عَتَا لِدَهْرِكَ إِنَّهُ * مَا إِنْ يُطَالَبُ بِالْوَفَاءِ وَلَا الصِّفَا
مَاضِرْنِي أَنْ كُنْتُ فِيهِ خَامِلًا * فَالْبَدْرُ بَدْرٌ إِنْ بَدَأَ أَوْ إِنْ خَفَا^(١)

(١) قوله : أو إن خفا : لعله يريد أن يقول خفى . ضدّ ظاهر . وإلا فعنى خفا : ظهر . وهذا لا يقصده . فقد استعمل المدرد مكان المقصور . ومثل ذلك قوله : يخفون . فيها سباق .

الله يعلم أنني ذو همية * تأبى الدنيا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتي * وأريهم عز الملوك وأشرفا
أريهم أنى الفقير إليهم * وجميعهم لا يستطيع تصرفا؟
أم كيف أسأل رزقه من خلقه * هذا لعمري إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله * عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى إحسانه * عم البرية منة وتلفا
وألجا إليه تجده فيما ترجى * لا تعد عن أبوابه متحزفا

وقال فى العجز أمام القدرة :

وكلى محتاج وأنت لك الغنى * ومثلي من يُخطى ومثلك من يعفو
وأنت الذى أبدى الوداد تكرا * ومثلك من يرعى ومثلي من يحفو
وما طاب عيش لم تكن فيه وإصلا * ولم يصف لا والله أنى له يصفو
عزمت على أن أترك الكون كله * وأقفو سبيل الحب والمحبتى يقفو
شهودكم يحلو الحجاب لأنه * إذا حقق التحقيق صار هو الكشف
وما أحسن الأحباب فى كل حالة * فله ما يبدو والله ما يُخفو
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهد * قلوبهم عن نبيل سر الهوى عُف
وأنت الذى أظهرت ثم ظهرت فى * جميع المبادئ مثلما شهد العرف
ظهرت لكل الكون فالكون مظهر * وفيه له أيضا كما جاءت الصحف
فأى فؤاد عن ودادك ينثى * وأية عين بعد قربك لن تغفو
وأية نفيس لم يملها هواكم * على حبكم طرا نفوس الورى وقف

وفى أوردناه كفاية فى عرض نماذج من شعره .

وما زال قائما على الدعوة إلى الله ، مذبعا مبادئه التى تلقاها عن شيخه
أبى العباس فى التمسك بأهداب الفضائل ، إلى أن اختاره الله لجواره . فتوفى بالمدرسة

المنصورية بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) . كما ذكره السبكي وأبو المحاسن والسيوطي والعماد الحنبلي . وليس سنة ٧٠٧ هـ . كما ذكره على باشا مبارك . ودفن بالقرافة الصغرى وقبره معروف بها .

قال الأستاذ محمد رمزي بك في تعليقاته على النجوم الزاهرة : إن قبر ابن عطاء الله السكندري لا يزال موجودا بجبانة سيدي على أبي الوفاء^(١) ، الكائنة تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الامام الليث . وهذا القبر يقع على بعد ٣٠٠ متر في الجنوب الشرقى لجامع سيدي على أبي الوفاء ، ويجوار القبر من الغرب قبة تحتها قبر كمال الدين محمد بن عبد الواحد (بن الهمام)^(٢) ، وبالقرب منها في الشمال الغربى قبر محمد بن سيد الناس ، وقبة تحتها قبر عبد الله بن أبي جهرة^(٣) .

قلت : وفي الاسكندرية مسجد معروف بمسجد سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري ، وهو بها مشهور ، ولم يدفن فيه . وهذا ابن عطاء الله .

وأما :

(١) هو أبو الحسن على أبو الوفاء بن محمد . ينتهى نسب هذا البيت إلى الأدارسة سلاطين المغرب الأقصى أبناء الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه . ولد أبو الحسن هذا بالقاهرة سنة ٧٥٩ هـ . فنشأ على التقوى والصلاح والعلم الغزير . وكان شديد اليقظة ، حاد الذهن ، متفوقا في مذهب مالك . وكان أبوه العارف بالله محمد بن محمد وفا مصجبا به حتى لقد صدره للكلام على الناس ولم يبلغ العشرين من عمره . وكان يبيع الكلام حسن الشعر ، ففها عارفا بالعلوم . وله مؤلفات في التفسير والفقه والتصوف . وأصل بيتهم بالاسكندرية وانتقلوا إلى القاهرة وسكنوا الروضة . وكانت وفاته بالروضة في ذى الحجة سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٥ م) .

(٢) هو العلامة كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مبهود (ابن الهمام) السبواي الاسكندري . كان مولده سنة ٧٩٠ هـ . تقريبا . وكان من أكابر علماء الحنفية علامة محققا جدليا نظارا مع التفوق على أفسرانه في أنواع العلوم من الفقه ، والأصول ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والتصوف ، والموسيقى . وكان يقول : لا أقلد في المعقولات أحدا . وكان له نصيب وافر مما لأرباب الأحوال المقربين إلى الله . تولى التدريس في عدة مدارس ، وله مؤلفات في غاية الاجادة والإتقان . وكانت وفاته في يوم الجمعة ٧ رمضان سنة ٨٦١ هـ (١٤٥٨ م) .

(٣) هو العالم البارع الناسك أبو محمد عبد الله بن أبي جهرة المالكي المقرئ الصالح . كان من القوالين بالحق ، الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر . مات في ذى القعدة سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) .

ياقوت العرشي

فهو الشيخ الصالح العارف بالله ياقوت بن عبد الله الحبشي المعروف "بالعرشي" كان مولده ببلاد الحبشة . ثم اختطف وبيع وتناقلته الأيدي إلى أن حضر إلى الديار المصرية . فلما سمع بالشيخ أبي العباس سافر إلى الاسكندرية وتقدم إليه وقام على خدمته وصحبه ولازمه ، وأخذ عنه وانتفع به . وكان من أجل تلاميذه ومريديه ، وظهرت عليه بركته . حتى صار من أهل العرفان ، ومن يضربون في التصوف وآداب السلوك بسهم وافر ، مع الزهد وشدة العبادة والنسك والورع . وقد بلغ من حب الشيخ أبي العباس له وثقته به أن زوجه بكرمته " بهجة " وبالجملة فقد كان مرضى الطريقة ، صاحب أحوال وإشارات . وقد روى ابن كثير أنه كان يقول : أنا أعلم الخلق بلا إله إلا الله .

قال ابن أبيك^(١) : كان شيخا صالحا مباركا ذا هبة ووقار... وكان يقصد للدعاء والتبرك ، ولم يخلف بناحيته بعده مثله . ومناقبه مشهورة بين أصحاب الطريقة الشاذلية . قلت : وحدثني الأستاذ الشيخ بشير الشندي أمين مكتبة بلدية الاسكندرية أنه قرأ أن الشيخ ياقوتا اعتكف في أحد المساجد ثلاثة أيام ، ثم خرج لزيارة شيخه أبي العباس فبينما هو في طريقه عثر على درهم . ومع أنه كان في شدة الجوع ، فقد رأى أن يشتري به زيبا يقدمه إلى الشيخ إثارا له على نفسه . فلما دخل إليه وسلم عليه وضع الزبيب بين يديه ، ثم هم بالانصراف فقال له الشيخ : مهلا . وبعد قليل حضر رجل من أهالي الاسكندرية وعلى يده صحيفة فيها رفاق وبعض الطيور . فقال له الشيخ : كل يا ياقوت فهذا فتوحك . قال الشيخ ياقوت : فأكلت حتى امتلأت ، وعند قيامي قال لي الشيخ : إحمل الزبيب فإننا قوم لا تحل لنا اللقطة .

(١) هو شهاب الدين أبو الحسين أحمد بن أبيك بن عبد الله الحسامي الدمياطي . كان مولده بدمياط سنة ٧٠٠ هـ وكان من أكابر الحفاظ حتى كان ينعت بحدث مصر ، وكان واسع المعارف حسن الخط دقيقة . وله مؤلفات في الحديث ورجاله وفي الوفيات . توفي بالقاهرة بالطاعون في رمضان سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) .

وكان له ابنتان تزوج إحداهما الشيخ شمس الدين اللبان ، فلما توفيت جزع عليها زوجها وأوصى بأن يدفن عند قدميها يوم وفاته ، إجلالا لمقام والدها واحتراما لمنزله . وتزوج الأخرى أحد تلاميذه ومريديه الشيخ حسن الحبار^(١) المتصدر بعده للوعظ والإرشاد .

توفي الشيخ ياقوت بالاسكندرية عن ثمانين سنة ؛ وذلك في مساء ١٧ من جمادى الآخرة سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) على ما ذكره السيوطي ، وهو الأرجح ، لا في سنة ٧٠٧ هـ . على ما ذكره علي باشا مبارك . ودفن في قبره الذي شيّد عليه مسجده المعروف به في الاسكندرية بجوار مسجد أبي العباس ، ومسجد البوصيري ، وقبره مقصود بالزيارة والتبرك . وله مولد في كل سنة ليلة واحدة يتم إحياؤها في شهر رمضان .



ومن صحب الشيخ أبا العباس ولازمه الشيخ نجم الدين عبد الله الأصفهاني ، صاحب شيخه أبي الحسن الشاذلي ، وكان من خيرة الأصحاب .



وقد تخرج على يدي أبي العباس في علم التصوف ، وأدب السلوك ، ومبادئ الطريقة ، ومكارم الأخلاق الإسلامية ، خلق كثيرون ، وتلاميذ لا يكادون يحصرون .

(١) هو الشيخ الواعظ المرشد أبو علي الحسن بن عبد الله الحبار . كان من أهل التقوى والملاح على قدم أهل الطريق . تصدر للوعظ والإرشاد بعد الشيخ ياقوت ، وكان من خاصة أصحابه وأقرب المريدين إليه حتى لقد تزوجه ابنته ، وكان عظيم الإقبال عليه . وانتفع به الناس . مات في ربيع الآخر سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) .

مسجد أبي العباس القديم

في أول عهده :

كان قبر الشيخ أبي العباس المرسى ، وما يزال معروفا في مكانه الذى دُفن فيه .
وكان هذا القبر قائما بذاته في جبانة قديمة تعرف بجبانة سيدى المرسى عند الميناء
الشرقى بالاسكندرية .

ولم يكن عليه بناء إلى أن كانت سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧ م) فزاره الشيخ زين الدين
ابن القطان كبير تجار الاسكندرية ، وبني عليه ضريحا وقبة ، وأنشأ له مسجدا حسنا ،
وجعل له منارة مربعة الشكل . ثم حبس عليه بعض أملاكه ، وأقام له إماما وخطيبا ،
ورتب له خدما وقواما . وكان القبر تحت القبلة التي كانت على يمين الداخل من
الباب الغربى لهذا المسجد . وكان يقصد بالزيارة من العامة والخاصة ، لا سيما
من المغاربة الذين يفدون على مصر بقصد الحج .

وفي سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) كان قد أهمل وتشعث . فأعاد بناءه الأمير قحاس
الإسحاقى الظاهرى أيام ولايته على الاسكندرية ، وقبل أن يلى نيابة الديار الشامية ،
وبنى لنفسه فيه قبرا دُفن فيه بعد وفاته .

وفي سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) جدد بناءه الشيخ أبو العباس السنفى الخزرجى ،
ودفن في قبره فيه .

وفي سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) وفد الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله المغربى
على الاسكندرية وزار ضريح الشيخ أبي العباس فرأى ضيقه وتشعث بنائه ، فجدد
منه الجزء الذى كان على القبلة ، كما جدد المقصورة والقبلة ، ووسعه بعض الشيء .

(١) تانى ترجمته بعد مع المدفونين بالجامع . (٢) تانى ترجمته بعد .

وفي سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) كانت حالة المسجد قد أصبحت غير مرضية ،
إذ أصابه التهدم والهجران حتى كادت تبطل منه الشعائر، فقام أحمد بيك الداخني ،
شيخ طائفة البنائين بالاسكندرية ، فلم شعثه وجدده ووقف عليه أوقافا ، وأعدّه
لإقامة الشعائر ، فقامت على خير ما يرجى .

ثم أخذ نظار وقفه في توسعة مساحته شيئا فشيئا من أرض الجبانة التي تجاوره ،
ومن بعض المنازل التابعة لوقفه ، وجعلت ميسراته فيما هدم من تلك المنازل حتى
صار كما قال على باشا مبارك : إلى ما هو عليه من السعة والمتانة والمنظر الحسن ،
وشعائره مقامة على الوجه الأتم ، ويصرف عليه من طرف ديوان الأوقاف
بالاسكندرية ، كما أن ريعه ومرتباته مضبوطة به . وله خدمة يقتسمون وظائف
الخدمة ، كما يقتسمون النذور ، على شروط مسجلة في ديوان الأوقاف . وكل سنة يعمل
له مولد ثمانية أيام ، بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وليلة في نصف شهر رمضان .

في آخر عهده :

ما برح مسجد أبي العباس المرسى على حاله التي وصفناها إلى أن شئت إرادة
الله العلية أن يعم مصر الخير ، وأن تشملها عوامل البر ، فتبوأ عرشها المفدى حضرة
ساكن الجنان المغفور له الملك المصلح العظيم "قواد الأول" أسبغ الله عليه شأبيب
الرحمة والرضوان ، وتوجهت عنايته السامية إلى أن تكون الاسكندرية بحق ،
عروس البحر الأبيض المتوسط ، وأن تكون في حاضرها مظهرا متصل بالجلال
بعظمتها الماضية . فأمر رحمه الله بإنشاء ميدان فسبح الجنات يطلق عليه
"ميدان المساجد" على أن يكون اتساعه ٤٣٢٠٠ متر . وأن يكون لمسجد
أبي العباس الحظ الوافر من الانشاء والتجديد ، حتى يتناسب مع عهد جلالته
السعيد . وأن ينتظم هذا الميدان الكبير : الخمسة المساجد المحيطة به ، وأجلها مسجد
أبي العباس . وأهمها مسجد البوصيري ، ومسجد ياقوت العرشي .

وقد بادرت وزارة الأوقاف إلى إنفاذ هذا الأمر الكريم ، واستجابت لهذه الرغبة الملكية العالية للراحل العظيم . فوضعت مشروعا قويا شاملا لتجديد المسجد ، بل لإنشائه وتشييده .

وقد راعت في مشروعها ، أن يكون طراز العمارة في البناء على الطراز العربى الجميل الذى كان معروفا في عصر الدولة الأيوبية التى وفد الشيخ أبو العباس من الأندلس إلى مصر في عهدها . بجاء آية من آيات الفن في الفخامة والجلال .

كما راعت أن يكون الضريح في مكانه الذى ما برح فيه ، مع اتساع رقعة المسجد ، بالأخذ من الأرض المحيطة به . وبذلك يصبح من أكبر مساجد الشرق ، ويصير حرما جامعا بالعاصمة الثانية للمملكة المصرية ، ويكون في نخامته ، وجلال عمارته ، وبهاء تشييده ، مضرب المثل في العظمة والجمال بين مساجد الإسلام .

وقد توج المشروع بالموافقة سنة ١٩٢٧ المغفور له الملك ” فؤاد الأول “ أسكنه الله فسيح جناته .

أدوار مشروع التجديد :

لما كان المشروع الذى أعدته وزارة الأوقاف يقتضى نزع ملكية الأرض اللازمة لتوسعة الموقع الجديد للجامع . كان من الضرورى انتظار فترة من الزمن لاتمام ذلك الاجراء . ولهذا تأخر وضع أسس البناء إلى أواخر سنة ١٩٢٨ ، على أنه قد تم وضعها في أوائل سنة ١٩٢٩

ومما أوجب التأخير أنه قد تبين أثناء الأخذ في إنفاذ المشروع ، وجوب إجراء شئ من التعديل في الرسوم ” النصميات “ المقررة له . فمن ذلك تعلية السقف إلى ١٧,٥٠ مترا ، بدلا من ١٣,٥٠ مترا لتساوى النسب المعمارية بأجزاء الجامع المختلفة . ومنها وجوب تقوية الأكتاد الداخلية للجامع لتمكين من حمل هذه التعلية الإضافية . وقد اقتضت هذه الزيادة في الأعمال استنفاد وقت آخر .

وفوق ذلك فقد كان للأزمة المالية التي بدأت في سنة ١٩٣٠ أثر ملحوظ في تحديد المبالغ التي كانت مخصصة سنويا لتمام المشروع . وقد بلغ مجموعها : ٦٨٥٥٤ جنيها مصريا في مدى خمسة أعوام ، من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٣ ثم حدث بعد ذلك فترة ركود .

ولما كانت سنة ١٩٣٦ انبعثت الهمة ، واتجهت الرغبة الملكية العالية إلى إتمام هذا المشروع الجليل . فددت وزارة المالية يد المعونة إلى وزارة الأوقاف بمبلغ ٥٥٠٠٠ جنيه لاتفاقه في هذا السبيل .

وكان من قضاء الله الذي لا يرد أن انتقل إلى رحمته ورضوانه الملك المصلح العظيم ” فؤاد الأول ” وذلك في يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٦ أسكنه الله فسيح جناته ، ورحيب رحماته .

غير أن عناية الله بمصر ، ورعايته لكانته ، قد طلعت عليها من مطالع السعود فتبوا حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المتوكل على الله ” فاروق الأول ” أيده الله بنصره . فكان من يمن الطالع أن شمل جلالته هذا المشروع برعايته ، وأمدّه بكريم عطفه وعنايته ، فسارت الأعمال بتوجيهاته السامية في خطى واسعة ، وتوجهت نحو التمام بهمة فائقة ، حتى بلغت فيه الغاية من الكمال .

وكان مما لاحظته جلالته ، حفظه الله ، أن ليس بالجامع مكان يقيم فيه السيدات شعائر الدين ، فأمر أعزهم الله ، أن ينحصر لمن مكان بجانب الجامع يؤدين فيه الصلاة ، ويوفين فيه الفرائض الدينية . فقامت الوزارة بانفاذ هذا الأمر الكريم ، واتخذت لمن مكانا رحبا ، وأعدته إعدادا حسنا ، وأفردت لهذا المكان بابا خاصا ، حتى لا يختلطن بالرجال أثناء الدخول أو الخروج ، أو أثناء إقامة الصلاة . وكانت ملاحظة جلالته موضع إعجاب الأمة وعظيم ارتياحها .

وقد مضت الوزارة في إتمام البناء والتشييد حتى جاء الجامع تحفة من أجل تحف الفن المعماري ، وآية من آيات الفخامة والجلال ، بين المساجد الإسلامية الكبرى في الشرق أجمع .

الجامع الجديد

وهذا وصف جامع أبي العباس الجديد كما شاهدته :

الظاهر أن رسوم الجامع "وتصميماته" وضعت ونفذت بحذاقها ، بفناء مساحته ٣٠٠٠ متر، بعد أن كانت في المسجد القديم ١٦٠٠ متراً . وهو مثنى الشكل ، متساوى الأضلاع من الداخل . وكل ضلع من أضلاعه طوله ٢٢ متراً . وله مدخلان عامان : أحدهما شرقي مطل على الميدان ، وعن يمينه إلى الجنوب جامع البوصيرى . وثانيهما بحرى يطل على الميدان ، وقبالته الشارع المعتمد لإنشائه وامتداده إلى قصر رأس التين العامر . وقد جعل على كل مدخل مصراعان عظيمان ، كسيا بالبرونز على الطراز العربى الرائع .

أما حيطان الجامع فهى فى ارتفاع ٢٣ متراً ، وقد كسيت من الخارج بالأحجار الصناعية ، كما كسى جزؤها العلوى من الداخل بالحجر الصناعى . وغطى جزؤها السفلى بالرخام الصناعى «الموزايكو» بارتفاع ٦,٥ أمتار . وجعلت السلام الخارجية أمام المدخلين العامين من الجرانيت المصرى . وهى توصل إلى دهايزين رحبين فرشت أرضهما بالرخام الملون على أشكال هندسية بالطراز العربى الجميل ، كما فرشت أرض الجامع بالرخام الأبيض .

وفى أربعة جوانب من تئين الجامع ثمان دعائم كبيرة مربعة الشكل ، فى كل جانب منها دعامتان ، صنعت جميعها من الخرسانة المسلحة ، وكسيت بالحجر الصناعى . وبإزائها ستة عشر عموداً نحتت من حجر الجرانيت ، استوردت من محاجر بالينو بإيطاليا . وكل عمود منها قطعة واحدة . قاعدته وتاجه . فى شكل مثنى ، ارتفاعه ٨,٦٠ أمتار وقطره ٨٥ سنتيمتراً .

وأما سقف الجامع من الداخل فهو في ارتفاع ١٧,٥٠ مترا . وقد طلى بدهان ذى زخارف وأشكال عربية فائقة الحسن . يتوسطه قبة « شخشيخة » مئمة الأضلاع قائمة على ثمانية أعمدة من الجرانيت الإيطالى، وارتفاعها عن مستوى أرض الجامع ٢٤ مترا، وقطرها ١٤,٥٠ مترا ، ومحيطها ٥١ مترا . وفى كل جانب من جوانبها الثمانية ثلاث كوى، نوافذ، محشوة بالزجاج الملون على رسوم وأشكال عربية جميلة . وهى ملتحمة بالرصاص ، وقد صنع إطارها من الألمنيوم . فتى وقعت الشمس عليها انبعثت منها أضواء إلى صحن الجامع متنوعة الألوان .

يحيط بهذه القبة « الشخشيخة » أربع قباب ، ارتفاعها عن أرض الجامع ٢٢ مترا ، وقطر كل قبة منها خمسة أمتار . ولكل قبة سقفان : أحدهما داخلى، جعل مفرغا على أشكال عربية جميلة تسترعى النظر . وثانيهما خارجى مرتفع فوق الداخلى بما مقداره ١١ مترا . وقطر دائرته ٧,٥٠ أمتار . وإحدى هذه القباب ، وهى الغربية، تعلو ضريح أبى العباس ولديه . والبحرية منها ، تعلو ضريح الذين سترد أسماؤهم بعد . وهم المدفونون بالجامع .

وقد صنعت أبواب الجامع ، ونوافذه، وكذلك المنبر، من خشب « التيك » والليمون، والجوز، والعزى . بتناسق وحلّ دقيقة الصنع، رائعة الوضع . كما ركب فى نوافذ الجامع وملحقاته الزجاج الانجليزى السميك .

المحراب :

وطبىعى أن يقع المحراب فى الضلع القبلى للجامع . وهذا الضلع تعلوه المئذنة الناهضة من خلف المحراب .

وهيئة المحراب مما تنشرح له الصدور، وتهفو نحوه القلوب، وتلفت إليه الأنظار . ففى كل من جانبيه عمودان صغيران نحتا من الجرانيت المصرى . طول كل عمود منها

ثلاثة أمتار . وفوق رأس كل عمودين كتب في مربع بالقلم الكوفي المتداخل :
”مجد“ أربع مرات . كما كتب في الزاويتين العلويتين من المحراب ، في مربعين عن
اليمين وعن اليسار ” لا إله إلا الله مجد رسول الله “ . وكتب بين هذين المربعين
في رأس المحراب بالخط الكوفي : ” فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا “ كما كتب في نصف
الدائرة قبالة وجه الامام ” فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ “ .

المنبر :

وفي الجانب الغربي من المحراب ، أى إلى يساره ، قام المنبر .

وقد صنع المنبر في أبدع وأجمل ما تصنع عليه المنابر في أجل المساجد قدرا . فقد
اتخذت أضلاعه من خشب عزيزى ، وصنعت حشواته من خشب الجوز التركى ،
وحلى ”بالأويمه“ وطعم بالآبنوس والعاج ، وكل ذلك مُجَمَّع في شكل عربى بديع ،
كما حليت أضلاعه و”قناناته“ بأشكال عربية من الخشب ”المهاوجنا“ وغلفت
الحشوات المجمعّة من الداخل بالواح ”أبلكاج“ زان ، وألف الحاجز ”درايزين“
من مربعات ومثلثات بمحشو خرط ميمونى من خشب الجوز التركى . وجعلت
حشواته في شكل حشوات المنبر .

ويرى الناظر في أعلى المنبر قبة لطيفة الشكل ، أسفلها مقرنصات وكرانيش ،
وحولها شرفات من خشب ”المهاوجنا“ وكذلك الجزء العلوى منه . وبأسفل
القبة ، خلف ظهر الخطيب ، حشوة سادة من خشب الجوز التركى ، يعلوها إطار .
وزاويتاها العلويتان محلاتان ”بالأويمه“ وبأسفل الإطار عمودان صغيران .

أما مراقى المنبر ، وعددها بعد المدخل ، فهى سبع درجات ، تنتهى إلى مقعد
الخطيب . وقد صنعت من خشب الزان : قائمة وقاعدة . وكذلك جعلت أنخاذ
السلم من الداخل ، غير أنها صنعت بطريقة النقر واللسان .

وأما ارتفاعه فهو ٦,٣٥ أمتار، إلى ذروة الهلال القائم في أعلاه .

وأما امتداده فهو ٣,٧٢ أمتار . وعرضه ٨٨ سنتيمترا .

وقد كتبت بأعلى بابه ، بخط الثلث المذهب بالذهب الفرنساوى من عيار ٢٢ قيراطا ، هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وعلى بابيه : إلى اليسار ” الله أكبر “ وإلى اليمين ” والله الحمد “ كما كتب على بابى المقدم : فى الجانب الأيسر ” بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ “ وفى الجانب الأيمن :

”عمل فى عصر ملك مصر المعظم فاروق الأول سنة ١٣٦١ هجرية“

وقد دهن المنبر جميعه ” بالأستر “ .

منصة السورة :

وكذلك صنعت منصة السورة مما صنع منه المنبر، وعلى طرازه ، قوائمها وحشوها ودهانها .

المئذنة أو المنارة :

قلنا إن المئذنة قامت على الضلع القبلى للجامع خلف المحراب .
وهى عربية الطراز ، أيوبية الرسم ، إرتفاعها عن سطح الأرض ٧٣ مترا ،
وارتفاعها عن سطح الجامع ٥٠,٨٠ مترا، وهى مؤلفة من أربعة أدوار، أو «حطة»
فارتفاع الدور الأول ١٨,٢٠ مترا، وهو مربع الشكل . وارتفاع الدور الثانى أربعة
أمتار، وهو مثنى الشكل . وارتفاع الدور الثالث ١٤,٩٠ مترا، وهو ذو ١٦ ضلعا .
وارتفاع الدور الرابع ٢,٣٥ متر، وهو مستدير . وارتفاع العنق ٤,٣٠ أمتار .
وارتفاع الرأس « طموشة » ٢,٦٥ متر . وقد كسى هذا الرأس بالنحاس البرونز .
ويعلوه هلال من النحاس ارتفاعه ٤,٤٠ أمتار . ركبت بين شعبتيه سارية مانعة
للصواعق ، يمتد منها سلك الى الجهاز المثبت تحت جذع المئذنة .

المصلى الملحق بالجامع :

يقع هذا المصلى بالجانب الغربى للجامع ، وله ثلاثة مداخل عليها أبواب : أحدها شرقى ينتهى إلى داخل الجامع . والثانى ، وهو المدخل الخاص إلى الجهة البحرية ، والثالث إلى الجهة القبلىة ، وينتهى إلى دورة المياه . وطوله ١١ مترا فى عرض خمسة أمتار . وبه محراب حسن الوضع والشكل مكسو بالحجر الصناعى وله ثلاث نوافذ : إحداها إلى الجهة الغربىة ، واثنان إلى الجهة البحرية . وبأعلاه فى متوسط سطحه قبة صغيرة ” شخشيخة ” بها ٢٢ كوة لإنبعاث الضوء منها إلى الداخل . والمصلى يتسع لثمانين مصليا .

مصلى السيدات :

لما زار حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ” فاروق الأول ” حفظه الله . جامع أبى العباس فى إحدى زوراته الكريمة . رأى أن ليس للسيدات مكان للصلاة ، فأمر ، أعزه الله ، بأن ينشأ لهن مكان خاص يقمن فيه بأداء شعائرهن الدينية ، على وجه يكفل لهن أداءها دون أن يختلطن بالرجال . فصدعت وزارة الأوقاف بهذا الأمر الكريم . وبادرت بإنشاء هذا المصلى .

وموقعه فى الجانب الغربى فوق دورة المياه ، خارج الجامع . وجعل له مدخل خاص يصعد إليه فى سلم مؤلف من ٤٠ درجة . وطول المصلى ١٥ متر فى عرض خمسة أمتار . وبه محراب جميل يستوقف النظر . وفيه نافذة كبيرة مربعة الشكل تطل على صحن الجامع من ارتفاع خمسة أمتار ، وقد غطيت هذه النافذة « بمشربىة » مشبكة . صنعت من خشب الزان والعزيرى على الطراز العربى المعروف . وهى فى حالة لا يستطيع معها من فى داخل الجامع أن يرى من يصلى فى هذا المصلى بحال . على أنه فى استطاعة من بداخله أن يستمع

إلى خطابة الخطيب وقراءة القارئ ، وأن يتبع الصلاة خلف الإمام ، بكل راحة واطمئنان ، وتحجب واكتنان .

دورة المياه :

ودورة المياه ، أو مكان الوضوء . واقعة في الجانب الغربي من الجامع . وطولها ١٣ متراً في عرض خمسة أمتار . وفي وسطها محل الوضوء ، وطوله ٩ أمتار ، وهو مستطيل ، وفي جانبيه ٢٨ صُنْبُوراً يتوضأ منها ، وهو مغلف بالقيشاني الأبيض ، ويمتدّ حوله حاجز ” طُرفية ” من الرخام يكون تحت قدمي المتوضئ عند الوضوء ، ويحجز الماء المنصب من الصنابير ذاهباً إلى مجراه . وقد فرشت أرض الدورة جميعها بالرخام .

وإلى الجهة الغربية منها ثلاث نوافذ صنعت على الطراز العربي ، وحشيت بالزجاج الانجليزي السميك ، كغيرها من نوافذ الجامع أجمع .

وإلى جانبها الأيمن مكان صفت به خمسة مراحيض ، يتلوها غرفة لخزن أدوات الفتراشين . وفي الحائط المقابل لها ركب صُنْبُوران لفسل الأيدي والأرجل . وفي الأسفل بنى حاجز ” طُرفية ” من الرخام يمنع سبوح الماء ، ويقف الغاسل عليه .

السبيل :

أنشئ هذا السبيل في ظاهر الحائط الجنوبي للجامع ، وهو خلف المحراب إلى غربي جذع المشذنة . وقد أعدّ على الطراز العربي المعروف بفخامة شكله وجمال منظره .

وفي الجامع بعد هذا حجرتان صغيرتان صالحتان للارتفاق بهما .



هذا وصف الجامع كما رأيته وشاهدته . وقد علمت أن مبلغ ما أنفق في تشييده وبنائه ، وبذل في تجديده وإنشائه — وذلك على وجه التقريب : ١٣٨٠٠٠ جنيه . ولا شك في أنه مبلغ لا يقاس بنتائجه العظيمة التي تستريح إليها القلوب وتقر بها العيون ، وليس لما قرت به العين ثمن .



وحيث بلغنا إلى هذه الغاية من الحديث عن المسجد الجامع ، والكلام عما حواه في داخله وخارجه ، فمن الحق أن نعود مرة أخرى إلى تجاوز مصراعه للحديث عن ساكنيه ، والتكلم عن قاطنيه ، من المدفونين في الضريح الشمالى ، والتعريف بهم ، لئتم البحث ويكمل الحديث . ولكي يخرج المطالع لهذه الرسالة من جميع فصولها وقد ألم بما صادقا بكل ما اشتمل عليه هذا الجامع العظيم . لاسيما والمدفونون به من خيرة العلماء ، وصفوة الفضلاء ، وخلاصة الصالحين . وناهيك بضريح يضم رفات كل من : ” ابن أبى شامة ” و ” ابن الحاجب ” و ” الفاكهاني ” و ” ابن اللبان ” و ” الأمير قحاس ” و ” الخزر جى ” .

المدفونون بالجامع

يوجد تحت ساحة الجامع ضريحان :

أحدهما في الجانب الغربي ، ويشتمل على رفات الشيخ أبي العباس وولديه :
أحمد أبي العباس ، ومحمد جمال الدين . وقد شيدت عليه منصة بالجمر الصناعي
”الموزايكو“ تعلو على وجه الأرض بما يوازي ٨٠ سنتيمترا ، وبها مرقدان : أحدهما
وهو الذي يقابل وجه الداخل إليه ، مرقد أبي العباس . والثاني وهو إلى يساره ،
مرقد ولديه . وفوق هذا الضريح من صحن الجامع ، ركبت المقصورة المصنوعة
من النحاس البرونز ، على الرسم المعروف ، تعلو هذه المقصورة ، فوق سطح الجامع ،
القبة الغربية ، من القباب الأربع .

وثانيهما في الجانب البحري ، وقد بنيت عليه منصتان متقابلتان ، إلى يمين
الداخل ويساره ، وبينهما ممتر في عرض يوازي مترا واحدا ، ينتهي إلى نافذة
بحرية مشبكة بالقضبان المكسوة بالبرونز . والمنصتان تعلوان على سطح الأرض
بما يوازي ٨٠ سنتيمترا . وفوق هذا الضريح من صحن الجامع ، مكان المقصورة
التي ستكون شبيهة بمقصورة أبي العباس . تعلوها فوق سطح الجامع ، القبة البحرية ،
من القباب الأربع .

وإذا دخلت إلى الجامع من بابه البحري رأيت ضريح أبي العباس وولديه
إلى يمينك ؛ ورأيت الضريح الثاني إلى يسارك .

وإليك أسوق الحديث عن ساكني هذا الضريح . وسأقدم منهم بالتعريف
من قدمه الزمن ، فأقول :

أما الأول فهو :

ابن أبي شامة

لم أعثر لابن أبي شامة هذا على ترجمة فيما رجعت إليه من مصادر، على كثرتها .
ولم أجد من الحديث عنه إلا هذه الشذرات التي أوردتها هنا :

قال أبو المظفر المعروف بسبط ابن الجوزي ^(١) : قدمت القاهرة، وسافرت إلى الاسكندرية في هذه السنة - يعني سنة ٦٤١ هـ - فوجدتها كما قال الله تعالى :
(ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) ، معمورة بالعلماء، مغمورة بالأولياء الذين هم في الدنيا شامة :
كاشيخ محمد القباري، والشاطبي ^(٢)، وابن أبي شامة .

وقال ابن خلكان - في حديثه عن ابن الحاجب - وتوفي بها - الاسكندرية -
ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ٦٤٦ هـ، ودفن خارج باب
البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة .

وروى ابن عطاء الله السكندري : عن الشيخ أبي العباس المرسى قال : رأيت
ليلة كأني في سماء الدنيا، وإذا برجل أسمر اللون، قصير الطول، كبير اللحية، فقال : قل :
اللهم اغفر لأمة محمد . اللهم ارحم أمة محمد . اللهم استر أمة محمد . اللهم أجبر أمة محمد .
هذا دعاء الخضر . من قاله كل يوم كتب من الأبدال . فقل : هذا الشيخ
ابن أبي شامة . فلما انتهت وأتيت إلى الشيخ أبي الحسن جلست ولم أخبره
بشيء . فقال : اللهم اغفر لأمة محمد - الدعاء - من قاله كل يوم كتب من الأبدال .

(١) هو العلامة المؤرخ الواعظ الشهير شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي البغدادي الحنفي
سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي . كان من أكابر العلماء وأفاضل الوعاظ . وله مؤلفات قيمة منها تفسير
القرآن في عدة مجلدات ، وشرح الجامع الكبير ، وكتب عظيم في التاريخ اسمه "مرآة الزمان" وله غير ذلك
مما يطول استقصاؤه . توفي بدمشق مساء الثلاثاء ٢٠ من ذي الحجة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٧ م) .

(٢) هو الشيخ الزاهد العابد المتأله أبو عبد الله محمد بن سليمان المغافري الشاطبي الاسكندري . كان
من أكابر المشهورين بالعبادة والمجاهدة ، ومن المعروفين بالتقوى والصلاح . توفي بالاسكندرية ، عن بضع
وثمانين سنة ، في سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) .

وقد ذكر اسمه في بعض الكتب محذوفاً بجاء "ابن أبي أسامة" وهو خطأ
كما ترى .

هذا ما عثرت عليه من شأنه . ومنه يعلم أنه : الشيخ الصالح ابن أبي شامة .
وأنه كان موجوداً في سنة ٦٤١ هـ . وأنه كان أسمر اللون ، قصير الطول ، كبير اللحية .
وأنه كان من الأبدال — في إصطلاح الصوفية — وأنه لما مات دفن بالمقبرة خارج
باب البحر من الاسكندرية ، وهي المقبرة التي عرفت فيما بعد بجبانة سيدي
أبي العباس . ولا شك أن وفاته كانت في الفترة بين سنة ٦٤١ هـ وسنة ٦٤٦ هـ .
التي توفي فيها ابن الحاجب .

وقبر ابن أبي شامة الآن داخل جامع أبي العباس الجديد .

فهذا ابن أبي شامة .

وأما الثاني فهو :

ابن الحاجب

الإمام العلامة أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني المصري . كان والده عمر بن أبي بكر جندياً من الأكراد . وكان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي^(١) الكردي . ومن هنا قيل لولده "ابن الحاجب" . كان مولده بإسنا من الصعيد الأعلى سنة ٥٧٠هـ (١١٧٥م) على ما ذكره ابن خلكان^(٢)، والإدقوي^(٣) . وذكر ابن فرحون^(٤) أنه ولد سنة ٥٩٠هـ . والأول أرجح . فقد يقع التحريف بين السبعين والتسعين من أقلام النساخ الأقدمين . وإذا علمت أن الجلال السيوطي نقل أنه مات عن خمس وثمانين سنة ، رأيت أن الأول، على رجحانه ، فيه نظر .

(١) هو الأمير عز الدين موسك بن جكو الكردي الصلاحي . وهو ابن خال السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان من أكابر الأمراء الأيوبية . مجاهداً في سبيل الله ، خيراً ، يحفظ كتاب الله ويكثر من تلاوته ، ويحب العلماء ، ويقرب أهل الصلاح ويؤثرهم . وهو الذي أنشأ القنطرة التي كانت على الخليج بالقاهرة والتي كانت تسمى بقنطرة الموسكى . واليه ينسب شارع الموسكى الشهير بالقاهرة . توفي بدمشق في ٢٨ من شعبان سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م) .

(٢) هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم الاربلي (ابن خلكان) . صاحب "وفيات الأعيان" . ولد سنة ٦٠٠هـ . وتفقه ودرس وتلقى علومه ومعارفه على مشيخة عصره ولقى العلماء وصحب أكابر الفضلاء ، وسكن مصر وناب في القضاء بها . ثم ولي قضاء الشام عشر سنين . ثم عزل وحضر إلى مصر . ثم عاد إلى قضاء الشام . وكان مريباً نبيلاً ، ذكياً أريباً ، أدبياً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، وكتاباً محسناً . وكان عارفاً بأيام الناس وتواريخ الأمم وأحداث الأزمان . توفي في رجب سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) . (٣) هو كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب الإدقوي . كان من أفاضل الأدباء ، وأكابر الشعراء . له المؤلفات الحسان ، ومنها "الطالع السعيد في تاريخ علماء الصعيد" و "الإمتاع في أحكام السماع" وغيرهما . توفي بالقاهرة في صفر سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) ، كما قال عبد الحى بن العماد الخنيلي في شذرات الذهب ، ودفن بمقابر الصوفية . وقد جاوز التسعين .

(٤) هو برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن علي (ابن فرحون) البعمرى المدنى . ولد بالمدينة المشرفة ونشأ بها ، وبرع في مذهب الإمام مالك ، وتولى القضاء بالمدينة ، وهو صاحب "الدياج المذهب" . توفي بالمدينة في ذى الحجة سنة ٧٩٩هـ (١٣٩٧م) . ودفن بالبقيع ، عن نيف وتسعين سنة .

تلقى أبو عمرو مبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب وحفظ القرآن الكريم على مشيخة بلده . ثم انتقل وهو صغير إلى القاهرة ، فأجاد حفظ القرآن ، وأتقن فن القراءات السبع . وأخذ قسطا وافرا من الفقه ، وبرع في الأصول وعلوم العربية ، وأتقنها غاية الإتقان . وكان الأغلب عليه النحو ، وعلم العربية ، وفقه الأصول . ولتوقد قريحته ، ودقة ملاحظته ؟ خالف جمهور النحاة في مواضع ، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات ، تبعد الإجابة عنها . وقد وصفه كثير من العلماء وأهل الفضل ، وأثنوا عليه بما هو أهله .

قال أبو شامة^(١) : كان ابن الحاجب ركنًا من أركان الدين في العلم والعمل ، بارعا في العلوم الأصولية ، وتحقيق علم العربية ، متقنا لمذهب مالك بن أنس ، وكان ثقة حجة متواضعا محتملا للأذى .

وقال ابن مسدي^(٢) : كان علامة زمانه ، رئيس أقرانه . إستخرج ما كمن من درر الفهم ، ومنج نحو الألفاظ بنحو المعاني ، وأسس قواعد تلك المباني ، وتفقه على مذهب مالك . وكان علم اهتمامه في تلك المسالك ... وهو في كل ذلك على حال عداله ، وفي منصب جلاله .

وقال الذهبي : كان من أذكاء العالم .

وقال الإدقوى : كان صحيح الذهن ، قوى الفهم ، حاد القريحة . وكان رحمه الله من المحسنين الصالحين المتقين .

(١) هو العلامة شمس الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة) المقدسي الدمشقي . كان مولده بدمشق سنة ٥٩٦ هـ . وكان من أكابر العلماء وأفاضل الفهماء . ذافنون متمددة ، ومعارف متنوعة . وله التأليف الجيدة في كل فن . وقد اشتهر بكتابه "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" وغيره من الكتب القيمة . وتولى مشيخة القراء في عدة مدارس بالشام ومصر . وتوفي بدمشق في ١٩ رمضان سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) . ودفن بمقبرة باب الفراءيس أو باب كيسان .

(٢) هو الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف (ابن مسدي) المهلب الأزدى القرناطي الأندلسي . كان علامة حافظا ذا رحلة واسعة في طلب العلم ، ودراية شائعة في كل فن . جاور بمكة فشا عن التشيع وقتل غيلة بها في شوال سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) .

وقال السيوطي : كان فقيها مناظرا، مفتيا مبرزاً في عدة علوم، متبحراً ثقة ، ديناً، ورعاً، متواضعاً، سطرّاً للتكلف .

أما شيوخه الذين أخذ عنهم فهم كثيرون : يخطئهم الإحصاء . وكذلك الآخذون عنه .

ولما ذهب إلى دمشق في سنة ٦١٧ هـ . احتفى بها علمائها وأهلؤها، ودعى إلى إلقاء دروسه بجامعها، وجلس للإقراء في زاوية المالكية، وأكب العلماء والأدباء على الأخذ عنه، وتبارى الفضلاء وأذكاء الطلاب في الانتفاع بفضله . وعند ما وقعت مسألة الشيخ عز الدين بن عبد السلام . كان هو الذي سعى في أمره، وأيده في قوله حتى اعتقل معه^(١) . ثم عاد إلى القاهرة هو والشيخ عز الدين في سنة ٦٣٨ هـ . وأقام بها ، وتصدّر بالمدرسة الفاضلية^(٢) ، ناشرًا للعلم مذبعا للعرفان . والناس ملازمون للاشتغال عليه والأخذ عنه .

تحدث ابن خلكان عنه فقال : كان من أحسن خلق الله ذهنا . جاءني مرارا بسبب أداء شهادات ، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة ، فأجاب بسكون كثير وثبت تام . ومن جملة ما سألته عنه ، مسألة اعتراض الشرط على الشرط في قولهم : إن أكلت ، إن شربت ، فانت طالق . لم تعين تقديم الشرب على الأكل يسبب

(١) وكان السبب في اعتقالهما أن الملك الصالح إسماعيل الأيوبي صاحب دمشق تنازل عن قلعة الشقيف ، وكانت قلعة حصينة جدا ، لصاحب صيدا الفرنجي . وذلك في سنة ٦٣٨ هـ أيام الحروب الصليبية . فلم يرق ذلك في أعينهما وأنكرأ عليه كل الإنكار حتى كادت تكون فتنة . فعزلها عما كانا يتوليانه من الأعمال وجبهما مدة ثم أطلقهما ، فغضرا إلى مصر ، وكان لها شأن عظيم في أحداث السياسة المصرية .

(٢) هذه المدرسة كانت أول مدرسة بنيت بالقاهرة ، وكانت بدرب ملوخيا ، الذي عرف بدرب القزازين ، بجوار المشهد الحسيني . أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الأيوبية بمصر وصاحب الرأي الأعلى عند صلاح الدين ومدير سياسة ملكه الواسع . وكان صلاح الدين يقول : ما فتحت البلاد بالعساكر ، إنما فتحتها برأى الفاضل وحسن تديره . وكان بهذه المدرسة مكتبة عظيمة بلغت مجلداتها أكثر من مائة ألف . وكان بها مصحف بالخط الكوفي ابتاعه القاضي الفاضل بمبلغ كبير من المال . وقد زعموا أنه مصحف عثمان . وكانت وفاة القاضي الفاضل في سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

وقوع الطلاق ، حتى لو أكلت ثم شربت لا تطلق ؟ ... وسألته عن بيت
أبي الطيب المتنبي^(١) . وهو قوله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن أقم حتى لات مقتحم^(٢)
ما السبب الموجب لخفض "مصطبر ومقتحم" ولات ليست من أدوات الجز؟
فأطال الكلام فيهما ، وأحسن الجواب عنهما . ولولا التطويل لذكرت ما قاله .
قلت : ليت ابن خلكان أغفل التحرج من التطويل وذكر لنا الجواب لتعم الفائدة .
ولابن الحاجب نظم يدخل في شعر العلماء . فمنه قوله في الشيب :
قد كان ظني بأن الشيب يرشدني * إذا أتى فإذا غيى به ككثرا
ولست أقنط من عفو الكريم وإن * أسرفت جهلا فكم عافا وكم غفرا
إن خص عفو إلهي المحسنين فن * يرجو الميسر ويدعو كلما عثرا

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المشهور . وقد أجمع العلماء منذ عهده إلى الآن على أنه كان نادرة الزمان وأعجوبة الفلك في صناعة الشعر ، وأنه لم يكن في وقته من الشعراء من يدانيه في علمه ولا يجاريه في أدبه ، ولا يسمو إلى مقامه في سعة إحاطته . وقد تعرض لديوانه بالشرح والنقد والتخريج منذ عصره إلى الآن حوالى مائة من العلماء والأدباء . وما يزال حتى اليوم موضع نظر كل عالم ، ومدرسة كل أديب فاهم . ومن خصائصه أنه يتغافل بمعانيه في طوابع النفوس ويصف الطبائع البشرية على ما هي عليه ، حتى لتكاد ترى له قولاً في كل خاطرة ، ومثلاً في كل بادرة . فهو شاعر الحكمة النفسية ، وحكيم الأحداث الزمنية . على أنه لا تكمل للأديب آلتة إلا باستظهار أقواله ، واستحضار أمثاله . كان مولده في سنة ٣٠٣ هـ ومات مقتولاً في أواخر شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) .

(٢) وهذا البيت من قصيدة له أولها :

ضيف ألم برأسي غير محتشم * والسيف أحسن فعلا منه بالهم
وهي ٣١ بيتاً . تراها في ديوانه . تصبرت : تكلفت الصبر حتى فقد فلا اصطبار . لات : معناها : ليس . وأصلها « لا » زيدت عليها الاء كما زيدت على « رب » و « ثم » فصارتا « ربت » و « نمت » وقد يجر بها كما قد ينصب . ومن أراد المزيد فعليه بكتاب "خزانة الأدب" لعبد القادر البغدادى . وهو شرح لشواهد الرضى الاسترأبدي على « كافية » ابن الحاجب . فالآن أقم : يريد أقم نفسك في قلم المهالك حتى أدرك مطلبى أو أهلك دونه .

وقال في صاحبه الشيخ ناصر الدين أبي العباس أحمد بن المنير الاسكندري :

لقد سُئِلت حياتي اليوم لولا * مباحث ما كن الاسكندريه
كأحمد سبط أحمد حين يأتي * بكل غريبة كالبعقريه
تذكرني مباحثه زمانا * وإخوانا لقيتهم سويه
زمان كان فيه لا يبارى * مدرسا وتغبنا البريه
مضوا فكأنهم إما منام * وإما صُبْحَة أضحت عشيه
وكتب إلى الحافظ منصور بن سليمان^(١) :

إن غبتم صورة عن ناظري فما * زلت حضورا على التحقيق في خلدي
مثل الحقائق في الأذهان حاضرة * وإن ترد صورة في خارج تجد
وله في المعنى نفسه :

إن تغيبوا عن العيون فأتتم * في قلوب حضوركم مستمر
مثل ما ثبت الحقائق في الذ * هن وفي خارج لها مستقر
وقوله في الشيب :

كنت إذا ما أتيت غيا * أقول بعد المشيب أرشد
فصرت بعد ابيضاض شبي * أسوأ ما كنت وهو أسود
ونبت به مصر فقال :

يا أهل مصر وجدت أيديكم * في جملها بالسقاء منقبضه
لما عدت القرى بأرضكم * أكلت كتي كأني أرضه

(١) هو الإمام الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سليمان (ابن العماد) الهمداني الاسكندراني الشافعي . توجهت همه إلى الفقه وأصوله . والحديث وفنونه ومنازل رجاله . وألف في ذلك المؤلفات القيمة . وله فوق ذلك "تاريخ الاسكندرية" كان مولده في صفر سنة ٥٦٠٧ . قال مؤرخوه : لم يخلف بعده في الثغر مثله . مات في شوال سنة ٥٦٧٣ (١٢٧٥ م) .

واشتهر في زمانه هذان البيتان، قالهما بعضهم ملفزا، وهما :
ربما عاجل القوافي رجال * في القوافي فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون
فقال ردّا عليهما :

أى غد مع يد دد ذى حروف * طاوعت في الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين
فيغنى بقوله : عين، وعين، وعين . نحو : غد، ويد، وددن . فإن وزن كل
منهما : فع . إذ أصل غد : غدو . ويد : يدى . ودد : ددن . وبقوله : نون،
ونون، ونون : الدواة، والحوت، والنون الذى هو الحرف .
وله في أسماء قداح الميسر :

هى فذ وتوأم ورقيب * ثم حلس ونافس ثم مسبل
والمعلّى والوغد ثم سنيح * ومنيح وذى الثلاثة ثممل
ولكل مما عداها نصيب * مثله إن تعد أول أول

ثم تافت نفسه إلى سكنى الاسكندرية ، وكانت إذ ذاك محط رحال العلماء،
ومرمى آمال الأدباء ، ومثوى جهابذة الفضلاء . فرحل إليها ، واعتزم الإقامة بها .
ولكن القدر لم يمهله ، فلم تطل مدته في ربوعها . وتوفى بها عن خمس وثمانين سنة
— كما قال السيوطى — وذلك في ضحوة يوم الخميس ٢٦ من شوال سنة ٦٤٦ هـ
(١٢٤٩م) ، ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبى شامة .

وقد قال الشيخ ناصر الدين بن المنير هذه الأبيات وكتبها على قبره . وهى :
ألا أيها المختال في مطرف العمر * هلم إلى قبر الإمام أبى عمرو
ترالعلم والآداب والفضل والتقى * ونيل المنى والعز غيبين فى قبر
وتوقن أن لا بد يرجع مرة * إلى صدف الأجدات مكنونه الدر
فتدعوله الرحمن دعوة رحمة * يكافى بها فى مثل منزله القفر

قلت : ويا حبذا لو كتبت وزارة الأوقاف هذه الأبيات في لوح من الرخام
يثبت فوق ضريحه . عليه رحمة الله .

أما ما تركه من تصانيف ومؤلفات ، فهي في نهاية الحسن والإفادة ، وقد
رزق فيها الحسنى وزيادة . ذاعت بعده في جميع الأقطار ، وتناولها العلماء بالإجلال
والإكبار . لما اتصفت به من الجودة والإتقان ، وما حوته من الدقة والحزالة
والإحسان . فمنها :

كتاب ” الجامع بين الأمهات ” — في الفقه — وقد أثنى عليه الإمام تقي الدين
أبن دقيق العيد المصرى الشافعى . فقال فيه : ” هذا كتاب أتى بموجب العجائب ،
ودعا قصى الإجادة فكان المجاب ، وراض عصى المراد فأزال شماسه وانجباب .
وأبدى ماحقه أن يبالغ في استحسانه . وتشكر نفحات خاطره ونفثات لسانه . فانه
رحمه الله تعالى تيسرت له البلاغة فتقياً ظلها الظليل ، وتفجرت له ينابيع الحكمة ،
فكان خاطره بيطن المسيل ، وقرب المرمى تخفف الحمل الثقيل ، وقام بوظيفة الإيجاز
فناداه لسان الانصاف : ما على المحسنين من سبيل ” .

قال ابن فرحون : وكان الشيخ تقي الدين شرع في شرحه على طريقة حسنة
من البسط والإيضاح والتنقيح وخلاف المذهب واللغة العربية والأصول . فلو تم
هذا الشرح لبلغ به المالكية غاية المأمول . وقد غنى العلماء بشرح هذا الكتاب
شرقا وغربا .

كتاب ” المختصر ” في أصول الفقه — إختصره مرة ثانية . وصار المختصر
الثانى كتاب الناس . قال ابن الزملكاني^(١) : ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب .

(١) هو العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني الأنصارى . كان مولده بدمشق سنة ٥٦٦٧ هـ . قال
الذهبي : كان عالم العصر ، وكان من بقايا المجتهدين ومن أذكاء أهل زمانه . تخرج به خلق . وله تصانيف
عدة في فنون شتى . طلب لقضاء مصر فحضر إلى الديار المصرية ، فلما كان ببليس توفى وحمل إلى القاهرة
مينا ودفن قريبا من قبر الإمام الشافعى . وكانت وفاته في ١٦ رمضان سنة ٥٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) .

كتاب ”الكافيه“ في النحو ، وهو مقدمة وجيزة . ثم نظمها في كتاب دعاه
” الوافيه في نظم الكافيه “ .

كتاب ” الشافيه “ في التصريف — وهو مقدمة وجيزة أيضا . ثم شرحها
وانتفع بها الطلاب إلى اليوم .

كتاب ” في القراءات “ وكتاب ” في العروض “ .

كتاب ” الأمل في النحو “ ، وهو كبير الحجم في غاية الإفادة والتحقيق .

كتاب ” الإيضاح “ في شرح المفصل للزمخشري .

كتاب ” المختصر في الأصول “ وهو أجل كتبه وأشهرها . ما برح العلماء في كل
قطر من الأقطار الاسلامية يعرضون له بالشرح والبيان ، ويلقون عليه الحواشي
والتقارير ، ويتدارسونه مع الاحتفال والاعتناء منذ عصر المؤلف إلى اليوم . وكان
آخر من قرأه من علماء مصر في مسجد أبي العباس المرسى بالاسكندرية ،
يجوار قبر ابن الحاجب : الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى^(١) شيخ الأزهر ، أيام كان
شيخا لعلماء الاسكندرية ، ثم من بعده الشيخ عبد المجيد اللبان . ثم لم يوجد من
يستقل بقراءته بعدهما . فأبداه بجمع الجوامع .

وله كتاب ” المنتهى “ في الأصول أيضا .

وقبر ابن الحاجب الآن داخل جامع أبي العباس الجديد .

وهذا ابن الحاجب .

وأما الثالث فهو :

(١) كانت وفاة الشيخ محمد أبي الفضل في ٢٧ يولييه سنة ١٩٢٧

الفاكهاني

الفقيه العلامة تاج الدين أبو اليمن عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الفاكهاني، يكنى أبا حفص الاسكندري. كان مولده بالاسكندرية سنة ٥٦٥ هـ. وكان فقيها فاضلا، وعالما متفتنا، ومحدثا بارعا، وأصوليا متقنا. كما كان جيد المعرفة بالنحو، والصرف، والعربية، والأدب. مع الحظ الوافر من الدين المتين، والصلاح العظيم. والخلق الكريم، وأتباع السلف.

قرأ القرآن بالقراءات على أبي عبد الله محمد «حافى رأسه»^(١)، وسمع منه، ومن أبي عبد الله محمد بن طرخان^(٢). وتقى الدين بن دقيق العيد، والبدر بن جماعة، وعتيق العمرى^(٣)، وأخذ عن ابن المنير وغيره، وكان مالكي المذهب. وصحب جماعة من الصالحين وتخلق بأخلاقهم، وتأدب بأدابهم، وسلك طريقهم، فكان من التقوى والورع على جانب عظيم، وجج غير مرة.

وله من المصنفات "شرح العمدة في الحديث". قالوا إنه لم يسبق إليه لكثرة فوائده. و"المنهج المبين في شرح الأربعين" للنووي. وله "الإشارة في العربية" وشرحها. و"التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة". و"الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير".

(١) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز (حافى رأسه) التلساني الاسكندراني. كان مولده بتاهرت من ظاهر تلسان سنة ٥٦٠ هـ. ولما أخذ حظه من العلم وفد إلى الديار المصرية ونزل الاسكندرية، وأقام بها يعلم العربية زمانا، وكان من أئمتها. قال أبو حيان: كان شيخ أهل الاسكندرية في النحو، تخرج به أهلها. مات في رمضان سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م).

(٢) هو الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طرخان، الأموي الاسكندري، كانت له عناية بالحديث وفتوه. مات سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م).

(٣) هو تقى الدين أبو الفتح عتيق بن عبد الرحمن العمرى. رحل في طلب العلم وحصل وأفاد. وكان من أفاضل المحدثين، مع الزهد والورع، وفضائل كثيرة. توفي بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م).

وقيل إن له شعرا حسنا . غير أننى لم أقف له إلا على هذين البيتين اللذين نقلهما من الهجاء إلى المديح ، حيث قال :

صُحِّتْ مَكَارِمُ تَأْتِي مِنْكَ ظَاهِرَةٌ * إِلَى مَكَارِمِ أَبْقَاهَا أَبُوكَ لَكَ
فَإِنْ تَقَدَّمَتْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ بِهِ * فَقَدْ تَقَدَّمَ آبَاءُ الْكِرَامِ بِكَ

ولما حضرته الوفاة جعل بعض أقاربه ، وهو صهره الفقيه ابن ميمون ، يتشهد أمامه ليذكره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَعِذَا يَذْكُرْنِي عَهْدُودًا بِالْحَمَى * وَمَتَى نَسِيتَ الْعَهْدَ حَتَّى أَذْكُرَا

ثم تشهد وقضى نحبه . وكانت وفاته بالاسكندرية في سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٤ م) .
ودفن ظاهرا باب البحر بمقبرة أبي العباس .

وقبر الفاكهاني الآن داخل جامع أبي العباس الجديد .

وهذا الفاكهاني .

وأما الرابع فهو :

ابن اللبان

العلامة الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردى الدمشقى المصرى الشافعى (ابن اللبان). كان مولده بدمشق سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م). وحضر علومه على شيوخ الديار الشامية، ورحل إلى الديار المصرية، وسمع من شيوخها وتفقه بآب^(١)ن الرفعة، وأنزله آبن الرفعة وأكرمه إكراما كثيرا، وتولى التدريس بقبة الإمام الشافعى وغيرها من مجالس العلم. وكان متمهرا فى الأصول. متضلعا فى الفنون، فقيها، محدثا، عارفا بالعربية، شاعرا، جيد القراءات، حسن التفسير. حر الفكر، مرسل الرأى، ذا همّة وصرامة وانقباض عن الناس، يجمع إلى العلم العمل. وفى سنة ٧٣٧هـ. حدثت له محنة إذ رفع إلى مجلس الحكم بدعوى أنه قال كلاما يوجب تأويله مؤاخذه مثله. فلما حضر إلى مجلس القاضى جلال الدين القزوينى^(٢) دافع عن نفسه حتى ظهرت براءته. غير أنه استتيب ومنع من الكلام على الناس، فتعصب عليه بعض الحنابلة، ولم تهدأ النائرة حتى رسم بنفيه، فنفى. وبعد فترة أعيد إلى شأنه، وتخرج به جماعة من الفضلاء.

وصحب فى التصوف الشيخ ياقوت العرشى، وتزوج ابنته، فلما توفيت أوصى أن يدفن عند قدميها حين وفاته، إكراما لأبيها وإجلالا لمقامه.

(١) هو الشيخ الفقيه نجم الدين أحمد بن محمد (ابن الرفعة) الأنصارى. شيخ الاسلام فى مصره وحامل لواء الشافعية فى عصره. كان مولده بمصر سنة ٦٤٥هـ. وتلقى علومه على مشيخة عصره وولى حصة مصر، ودرس بالمعزية، وناب فى القضاء. وله مؤلفات فى الفقه واسعة الأطناب. وكانت وفاته بمصر فى رجب سنة ٧١٠هـ (١٣٠٧م). ودفن بالقرافة.

(٢) هو القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعى. ولى قضاء الشام، ثم قضاء الديار المصرية. وكان من أجلاء العلماء، وهو صاحب كتاب "تلخيص المفتاح" فى البلاغة. وكان جهم الفضائل. توفى أواخر سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٩م).

وله مصنفات حسنة ، منها ” ترتيب كتاب الأم “ للإمام الشافعي . بؤبه
ورتبته على المسائل ، لكنه لم يبيضه ، و ” إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث
المشتبهات “ تكلم فيه على طريقة الصوفية ، و ” رد معاني الآيات المتشابهات
إلى معاني الآيات المحكمات “ في التفسير ، لم يكمل ، و ” اختصار الروضة “
و ” كتاب في علوم الحديث “ و ” كتاب في النحو “ .

وكانت وفاته بالاسكندرية بالطاعون في شوال من سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) .
ودفن في مقبرة أبي العباس .

وأخبرني بعض العارفين من أفاضل الاسكندرية أنه أحد أجداد العلامة
المرحوم الشيخ عبدالمجيد اللبان أحد أكابر علماء الأزهر ، وشيخ علماء الاسكندرية ،
وشيوخ كلية أصول الدين . المنتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٣ من ذي القعدة سنة ١٣٦١
(٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢) .

وقبر ابن اللبان الآن داخل جامع أبي العباس الجديد .

وهذا ابن اللبان .

وأما الخامس فهو :

الامير قحماس

قحماس بن عبد الله الإسحاقى الظاهرى ، نسبة إلى الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ) الذى نشأ فى خدمته . وكان للظاهر جقمق به عناية خاصة ، فعلمه وخرجه حتى لكان يكتب الخط الحسن ويحوده فيشبه خط أستاذه . وبهذا قدمه وأجازه ، وبعثه إلى الحج فى صحبة تمرغا . ثم عينه الملك الظاهر خُشقدم (٨٦٥ - ٨٧٢ هـ) خازن دار كيس ، وأمره .

ولما استقر الأشرف قايتباى على عرش مصر (٨٧٢ - ٩٠١ هـ) رماه وأرسله إلى الشام . ثم ولاه نائباً للاسكندرية وجعله أميراً خور . وفى هذه الأثناء عين أميراً للحج واستصحب معه جماعة من أكابر الفقهاء .

وبعد عودته من الحج أخذ فى إنشاء بعض الآثار وتجديدها ، فعمر البرج السلطانى بالاسكندرية ، كما أنشأ جامعاً فى ظاهر باب رشيد خارج الاسكندرية ، وإلى جانبه خان أمن به الوافدون على الثغر بعد الغروب ، مما كان يحدث لهم من السطو والسرقات ، وانتفع به الناس نفعا كبيرا . وأحدث بهذا المكان بستاناً نضيراً ، كما جدد جامع الصوارى ظاهر باب سدره ، وعمر بالجزيرة ، خارج باب البحر على شاطئ السلسلة ، رباطاً ، وأودع فيه من الأساجدة والأقوات ما يلزم للرابطين . وغير ذلك مما يطول شرحه ، ووقف على منشأته فى الديار المصرية الأوقاف الدارة ، وبني لنفسه تربة إلى جانب الخان ، ولكنه لم يدفن فيها ، وإنما دفن فيها زميله الملك الظاهر تمرغا (سنة ٨٧٢ هـ) .

وفى سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) جدد بناء مسجد أبى العباس المرسى بالاسكندرية بعد أن كان قد تشعث وتهدم ، وبني له فى هذا المسجد قبراً دفن فيه .

ولما عينه الملك الأشرف قايتباى نائباً على الديار الشامية جدد بها آثاراً ، وأنشأ مدارس ، وقزر فيها الصوفية ، وهياً لهم وسائل العيش ببناء مطبخ للدشيشة . ثم سافر فى عدة غزوات ، وعاد إلى الديار المصرية .

وفي سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) أنشأ بالقاهرة مدرسة بالدرب الأحمر عند سوق الغنم . وهي التي عرفت فيما بعد ”بجامع أبي حريبة“ . وقد ذكر علي مبارك باشا في خطته أن الأمير قحاس أنشأ هذا الجامع في سنة ٦٨٦ هـ . كما وجد في بعض نقوش حجرية . قلت : وهذا خطأ لا شك فيه . والصواب ما أثبتناه أولاً .

وإنما عرفت مدرسة قحاس هذه ”بجامع أبي حريبة“ لأن الشيخ أحمد أبي حريبة حينما توفي سنة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) دفن فيها فعرفت به .

ومن هذه الأعمال يتبين أن الأمير قحاس كان ميالا للعمارة ، مطبوعا على حب الخير ، موقرا للعلماء . ملازما للفقهاء . محبا للصالحين . مع الدين والتقوى والاحتشام ولين الجانب .

وفي آخر يوم الخميس ثاني شوال سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) توفي وصلى عليه من الغد ، ودفن في تربته بمسجد أبي العباس .

وزعم ابن إياس أنه توفي بالشام . وليس هذا بثبت .
وقبر الأمير قحاس الآن داخل جامع أبي العباس الجديد .
وهذا الأمير قحاس .

وأما السادس فهو :

الخزرجي

الأديب البارع الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر السنفي الخزرجي الشهير "بقعود". فهو أذا من قبيلة أبي العباس. كان أحد العلماء المشاهير في عصره، وكان أديبا حسن النظم والنثر، حاضر البديهة، كريم الأخلاق، جيد الخلال، جوادا مبدالا. وله تجديد وإصلاح في مسجد أبي العباس القديم. ولذا قال فيه صاحبه الأصيلي^(١)، وهو من شعراء السلافة :

لله در شهاب الدين مرتقيا * في الجود والنسب السامي على السلف
من رام يبغى وفا أو منتهى نسب * قالت فضائله في ذا وذا سنفي

(١) هو شرف الدين يحيى الأصيلي المصري. كان مولده بدمياط وبها تلقى علومه، ثم حضر إلى القاهرة. وكان أديبا متفتنا، وشاعرا محسنا، وكاتبا مجيدا. وكان مع هذا يقرأ القرآن بصوت حسن يطرب له سامعه، ويتغنى في الحفلات بأنغام تستطير القلوب وتملك الأرواح. وكان حسن المحاضرة، بليغ النكتة، حاضر البديهة، جميل الشكل، نظيف الثياب، محبيا إلى القلوب. وكان مختصا ببيت السادة البكرية مكرما عندهم. أثيرا لديهم. وكان أهالي القاهرة يحتشدون في ليالي حفلاتهم لسماع الأصيلي، والاستمتاع بقراءته وأناشيده. ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فبعد استيفاء حجه وأداء مناسكه، توفي يوم ٨ محرم سنة ١٠٠١ هـ. كما ذكر ابن معصوم في السلافة (١٥٩٢ م). ومن جيد شعره، ولعله كان ينشده بيت البكرية ببولاق :

ل في المحبة عن ملام العاذل * بجمال من أهواء أشغل شاغل
أثرت عيونى بالسهاد وإثما * دعى الذى أضحى بوصف السائل
إن غردت ورق الحمام جدت * شوقا أهاج من الغرام بلايل
بأبي غزال أرض نجد داره * لكن لواظله عزيز لبائل
لذن المعاطف رق مرشف ثفره * فاعجب له من ذابل فى ذابل
ولحاظه حفت بأصداغ فيا * لله من سيف سطا بجمائل
تطاول الأغصان تحكى قده * وإلى التناهى مرجع المتناول
أعيا الفصيح نبات عارضه فقل * قس الفصاحة من أسارى باقل

وأكثر شعره في غاية العذوبة والرفقة.

وقد أخذ عنه جماعة من الأدباء ، وانتفع به فريق من العلماء . منهم : ولده أبو بكر ، والشهاب أحمد الخفاجي ^(١) . وقد وصفه الخفاجي بقوله :

”بلغ سحّب ذيل بلاغته على سبحان . وروض أدب في كل ورقة خطها بستان . ألفاظه أرق من دمع السحاب ، وأطرب من كأس يضحك بشفر الحجاب . سطور شعره قضب عليها من قوافيه حمام ، وعصره وإن تأخر لمدام الأدب مسك ختام . وإن وريّ فالكلمات لحياؤها ذات توارى ، أوزف أبكار أفكاره فالكُنس لشهبها جوارى ، وهو من أعيان مصرنا فضلا ولديا . وممن مال لرقته كل نسيم وصبا . وربما جعل الشعر لكسبه سببا ، واتخذ سبيله في البحر عجبا . وله مكارم أخلاق . تجدد مآثر الجود والأخلاق ... ومع كون طبعه هزأ بالشمال والشمول ، أدركته حرفة الأدب فاعتكف في زوايا الخمول .

وله مؤلفات كثيرة نظما ونثرا . منها : ” منظومة في النحو ” و ” منظومة في الزحافات والعلل العروضية ” و ” تذكرة ” جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عاصره ، وكثيرا من نظمته البديع .

(١) هو القاضي شهاب الدين أحمد الخفاجي . كان من أكابر علماء عصره . ولي قضاء العسكر في الدولة العثمانية . وكان مولده بدمشق ، ورحل إلى البلاد وأخذ عن شيوخ عصره في الشام والجزيرة والقسطنطينية ومصر . وله مؤلفات في غاية الاحسان في فنون شتى . ومن أشهرها وأقربها إلى أيدي الأدباء كتابه ” ربحانة الألبا ” وكان كاتباً بليغاً وشاعراً حسن التصرف وأديباً متفوقاً . مع الفقه ، والأصول ، والطب ، والمنطق ، وسائر العلوم المعروفة في عهده . وله ” شرح الشفا ” وهو حسن جدا . وقد صنع مقامات جارية بها من تقدّمه ممن عرض لهذا الفن . ولما عزل عن منصب قضاء العسكر كثّر مخطّطه على رجال الدولة وأكثر من انتقاد تصرفاتهم حتى قال :

جيوش ما لها في الملك نفع * حكمت صورا تصوّر في كتاب

رأيت قتالهم من غير نبيل * كمثل الضرب في كتب الحساب

وشعره كثير وآثاره غزيرة . وكانت وفاته بمصر في يوم الثلاثاء ١٢ من شهر رمضان سنة ١٠٦٩هـ (١٦٥٩م) .

ومن شعره قوله :

يا صاحبى اترك ما مُعَنَّى * أو فاعِذْ لاه وعارضاه
فما تُطِيقان رشدًا غاير * بما يلاقى وعى رِضاه
سبا حشاه والعقل منه * عينا غزالٍ وعارضاه
يا جمع من صيروا التصابى * فى الحسن عارا بالعارضاهوا

ومن قوله — من قصيدة — لم أضر منها إلا على هذه الأبيات الأربعة :

تفت فؤادك الأيام فتا • وتحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق * ألا يا صاح أنت أريد أنتا
ومنها فى فضل العلم :

وكتلا تخاف عليه نهبا * خفيف الحمل يوجد حيث كتنا
ستجنى من ثمار الجهل شوكا * وتصغر فى العيون إذا كبرتنا
ومن قوله :

لى حبيب من هجره زاد سكرى * وسلوى هواه أقبح ذنب
جاءنى داعيا وقال : ائتِ إنى * أولم اليوم . قلت : قلب المحب
ومنه قوله فى قهوة البن :

هم يابنة البن فقد ودّها * للطفها ربّ الحجي والدها
مذ ساوت العنبر لونا شذا * لا تدعنى إلا بيا عبدها

وكانت وفاته بالاسكندرية سنة ١٠٠٧ هـ (١٥٩٨ م) . ودفن فى قبر بجوار
أبى العباس المرسى .

وقد وقفت على حكاية أدخلت الشك عندى فى صحة هذا التاريخ الذى توفى فيه
الخزرجى فقد قال يحى الأصيلي : كنت أنا وشيخنا العلامة نور الدين العسيلي

جالسين عند (الأستاذ محمد البكرى بمنزله ببولاق) . وقد ذكر فى المجلس جماعة من أفاضل الدهر ، وأدباء العصر ، توفوا فى مدة قريبة ، كالعلامة الفارضى والشهاب السنفى (فى الأصل السنفى وهو خطأ) والبرهان المبطل ، وخلائق غيرهم ، فأنشد (البكرى) بديهة :

أقول وقد قيل لى كم مضى * أديب له حسن نظم جليل

دعوا كل ذى أدب ينقضى * ويحيى العسيلي ويحيى الأصيلي

فهذه الحكاية تثبت أن السنفى قد توفى قبل الأصيلي . وعند ابن معصوم أن الأصيلي توفى بمكة سنة ١٠٠١ هـ . والمعروف أن السنفى توفى سنة ١٠٠٧ هـ . فأى التاريخين صواب وأيهما خطأ ؟ إنى أرجح صدق هذه الحكاية وأن السنفى توفى قبل الأصيلي الذى كانت وفاته فى السنة التى تلت وفاته . ولا مبرر لافتعال هذه الحكاية وإن كان بها تشريف للأصيلي بشهادة السيد محمد البكرى له . وليس ببعيد أن يخطئ ابن معصوم فى تاريخ وفاة الأصيلي ، فبدلاً من أن يقول توفى سنة ١٠٠٨ هـ . قال توفى سنة ١٠٠١ هـ . والله أعلم .

وقبر الخزر جى الآن داخل جامع أبى العباس الحديد .

صحيفة الختام

رأينا من الخير أن نختم هذه الرسالة بشكر من أمد هذا الأثر الجليل، وهو جامع أبي العباس المرسى ، بيده ، أو بعقله ، أو بعلمه ، أو برأيه . ومن ساعد بما في مقدوره في النهوض به ، حتى بلغ الغاية المرجوة من التمام ، وأوفى على النهاية من الكمال .

سجل الفضل :

ولما كان العمل في الجامع قد مضى عليه قرابة أربعة عشر عاماً — منذ اتجهت الفكرة الملكية السامية إليه — بين نهوض وركود ، وأشغال وإهمال ، ولم يبلغ غايته المبتغاة إلا في هذه السنة ، وذلك بفضل ما بذله :

حضرة صاحب المعالي السيد محمد عبد الهادي الجندى باشا وزير الأوقاف في سبيله من همة عالية ، وعناية فائقة ، حتى كاد عمل سنة واحدة على يديه يربي على الأربع عشرة السنة الماضية ، كان من الواجب أن نسجل لمعاليه في هذه الصحيفة آيات الشكر، وعبارات الثناء بلسان الخير .

كما نسجل الفضل لمن شتد أثره في هذه النهضة الكريمة ، ونخص بذلك :

حضرة صاحب العزة العالم المهندس الكبير الأستاذ محمد صبرى شبيب بك وكيل وزارة الأوقاف .

وحضرة صاحب العزة العالم القانونى الجليل الأستاذ محمد عمر دمرداش بك الوكيل المساعد .

فلا ريب في أنهما كانت لهما الهيمنة الدائمة والإشراف المستمر ، على دقائق الأعمال وجلائلها من البداية إلى النهاية . فلهما من الله حسن الجزاء .

جريدة العاملين :

كذلك يحسن بنا أن نسجل هنا أسماء العاملين الذين أخلصوا في عملهم فوضعوا الرسوم "التصميمات" وقاموا على إنفاذها وهم :

(أولاً) مديرو قسم الهندسة ، بوزارة الأوقاف : سيد متولى بك ، المرحوم إسماعيل عمر بك ، على فريد بك ، الأستاذ أحمد فهمى إبراهيم مدير القسم حالا .
(ثانياً) مهندسو المشروع : فالسائيه ، روسى ، محمد كمال إسماعيل ، عبد الحميد سليمان .

(ثالثاً) المشرفون على التنفيذ : يحيى قدرى ، صلاح الدين شرف .

المقاولون :

أما المقاولون الذين قاموا بعمليات البناء ، وإنقاذ رسوم الإنشاء ، فهم :

(١) إخوان خاتينا . وقد اقتصوا بوضع الأسس .

(ب) شركة المقاولات : عبد الحليم وإبراهيم نصير . وقد اقتصوا بأعمال البناء فوق الأسس ، وأعمال الحجر الصناعى ، والأعمدة الجرانيت ، والخراسانات ، والمثذنة .

(ح) سعيد وشركاه . وقد اقتصوا بأعمال النجارة ، والدهان ، والسلام ، وفرش الأرض بالرخام ، وكسوة الحيطان من الداخل .



وأخيراً لا بد لنا من أن نذكر بالخير إدارة الأوقاف بالاسكندرية لما قامت به من الرقابة المباشرة على سائر الأعمال . ونخص بالذكر مديريها . وهم : الأساتذة : مصطفى فهمى الزيات ، ومحمد بغدادى أبو الوفا ، وأحمد فوزى البرديسى مدير أوقاف الاسكندرية حالا .



وختاماً نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يحسن إلينا إن كنا من المحسنين ،
وأن يتجاوز عن هفواتنا إن كنا من المخطئين ، فإنه المرجع والمآب ، وإليه ترفع صحف
الحساب ، وهو الغفور الرحيم ، العفو الكريم . له الحمد في الأولى والآخرة .



وكان الفراغ من وضع هذه الرسالة وتحريرها ، وتوشيتها وتجهيزها ، في مساء
الثلاثاء ٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ (أول يونيو سنة ١٩٤٣) .



وكان تمام طبع هذه الرسالة الخالدة في عهد المصلح الكبير حضرة صاحب
المعالى الأستاذ الجليل عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف . فبفضله تم طبعها ،
وبمحسن رعايته عم نفعها . فلمعاليه من الله تعالى عظيم الأجر ، ومن عباد الله
جزيل الشكر ما

القاهرة في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ (٢٠ مايو سنة ١٩٤٤)

حسن السندوبى

المصادر التي اعتمدت عليها في تحرير هذه الرسالة

- (١) أفضل القرى لقرء أم القرى ، وهو شرح ابن حجر المهيتمى على همزية البوصيرى
- (٢) البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير .
- (٣) البستان فى اللغة للشيخ عبد الله البستانى .
- (٤) بغية الوعاة للسيوطى .
- (٥) تاج العروس فى شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى .
- (٦) تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس لابن عطاء الله السكندرى .
- (٧) تاريخ الأندلس لأشباخ الألمانى ترجمة محمد عبد الله عنان .
- (٨) تحفة النظر (رحلة ابن بطوطة) .
- (٩) التنوير فى إسقاط التدوير لابن عطاء الله السكندرى .
- (١٠) التوفيقات الإلهامية لمختار باشا المصرى .
- (١١) جامع التصانيف الحديثة المصرية لعبد الله الأنصارى .
- (١٢) الجامع المختصر فى التاريخ لابن الساعى .
- (١٣) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى .
- (١٤) حكم ابن عطاء الله السكندرى بشرح ابن عياد النفزى الرندى .
- (١٥) الحلل السندسية للأمير شكيب أرسلان .
- (١٦) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهاني .
- (١٧) خزنة الأدب للبغدادى .
- (١٨) الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك .

- (١٩) دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) .
- (٢٠) دائرة المعارف للبستاني .
- (٢١) الدرر الكامنة لابن حجر .
- (٢٢) الديباج المذهب لابن فرحون اليعمرى .
- (٢٣) ديوان أبى الطيب المتنبي .
- (٢٤) ریحانة الألبا للشهاب الخفاجى .
- (٢٥) سلافة العصر لابن معصوم .
- (٢٦) السلوك لمعرفة دول الملوك لتقى الدين المقرئى
- (٢٧) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى .
- (٢٨) صبح الأعشى للقلقشندي .
- (٢٩) الضوء اللامع للسخاوى .
- (٣٠) الطالع السعيد للادفوى .
- (٣١) طبقات الشاذلية لابن الكوهن الفاسى .
- (٣٢) طبقات الشافعية لابن السبكي .
- (٣٣) عصيدة الشهدة فى شرح قصيدة البردة للشيخ عمر بن أحمد الخربوتى
- (٣٤) الفوائد البهية فى تراجم الحنفية للكنوى الهندى .
- (٣٥) فوات الوفيات للصالح ابن شاكر .
- (٣٦) القاموس المحيط للفيروزابادى .
- (٣٧) الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية للناوى .
- (٣٨) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى .
- (٣٩) لطائف المنن والأخلاق للشيخ عبد الوهاب الشعرانى .

- (٤٠) اللطيفة المرضية بشرح حزب الشاذلية للشيخ داود بن ماخلا .
- (٤١) لوائح الأنوار في طبقات الأخيار (الطبقات الكبرى) للشعراني .
- (٤٢) معجم البلدان لياقوت .
- (٤٣) معجم المطبوعات العربية ليوسف أليان سركيس .
- (٤٤) المفخر العلية في المآثر الشاذلية منسوب لابن عياد النفزي الرندي .
- (٤٥) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقرئ .
- (٤٦) النجوم الزاهرة بأخبار مصر والقاهرة لأبي المحاسن بن تغري بردى .
- (٤٧) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ .
- (٤٨) نكت الهميان للصالح الصفدى .
- (٤٩) وفيات الأعيان لابن خلكان .
- (٥٠) اليواقيت الثمينة لمحمد البشير ظافر المدنى .

رسالة أبي العباس المرسى

فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة
١١٦ مسجد أبي العباس القديم	الخطبة ٣
١٢٠ الجامع الجديد	المقدمة ٥
١٢٧ المدفونون بالجامع :	تمهيد في علاقة المصريين بالأندلسيين ٩
١٢٨ ابن أبي شامة	الشيخ أبو الحسن الشاذلى : ١٣
١٣٠ ابن الحاجب	المأثور من نفيس كلامه ... ٢٤
١٣٨ الفاكهاني	الشيخ أبو العباس المرسى : ٤١
١٤٠ ابن اللبان	نبذ من مناقبه وشماله ... ٥١
١٤٢ الأمير قحماس	المأثور من بديع كلامه ... ٥٩
١٤٤ الخزرجى	المروى من ثره ونظمه ... ٨٥
١٤٩ صحيفة الختام	تلاميذه ومريدوه : ٨٨
١٥٣ المصادر المعتمد عليها	البوصيرى ٨٩
١٥٦ فهرس الموضوعات	ابن عطاء الله السكندرى ... ١٠٣
١٥٧ فهرس الحواشى والتعليقات	ياقوت العرشى ١١٤

فهرس الحواشى والتعليقات

صفحة	صفحة
٤٦ جامع أولاد عنان	١١ الحرب الصليبية السابعة
٤٦ الحكيم الترمذى	١٣ عبد السلام بن مشيش
٤٦ الإمام الفزالى	١٥ جامع العطارين بالاسكندرية
٤٦ أبو طالب المكى	١٥ أمير الجيوش بدر الجمالى
٤٦ أبو القاسم القشبرى	١٦ المدرسة الكاملية بالقاهرة
٤٦ القاضى عياض الأندلسى	١٦ عز الدين بن عبد السلام
٤٧ الشيخ على الخواص	١٦ تقى الدين بن دقيق العيد المصرى
٤٧ جامع المقياس	١٦ الحافظ المنذرى المصرى
٤٨ الجلبة . من سفن البحر الأحمر	١٦ ابن الصلاح الدمشقى
٥٢ ابن عطية الأندلسى	١٦ ابن عصفور النحوى الأندلسى
٥٢ البغوى	١٧ ابن عوف السكندرى
٥٤ ابن النعمان السكندرى	١٧ ابن سرافة الأنصارى
٥٥ شمس الدين الأصفهانى	١٧ مكين الدين الأسمر
٥٥ شمس الدين الأيكى	١٧ خانقاه الصوفية (سعيد السعداء)
٥٧ زكى الدين الأسوانى	١٨ مجد الدين القشبرى المصرى
٥٨ علم الدين سنجر الشجاعى	١٩ الصلاح الصفدى
٦٢ الفتيان « الكشافة »	٢٠ أبو القاسم القبارى السكندرى
٦٩ بشر الحافى	٢٢ بدر الدين بن جماعة
٧٠ الحارث المحاسبى	٢٣ ابن ماخلا السكندرى
٧١ السرى السقطى	٢٣ الحافظ الذهبى
٧١ أبو القاسم الجنيد	٤١ مرسية

(تابع) فهرس الحواشي والتعليقات

صفحة	صفحة
١١٤ ابن أيبك الحسامي	٧٢ سهل التستري
١١٥ الحسن الحبار	٧٢ أبو يزيد البسطامي
١٢٨ سبط ابن الجوزي	٧٣ سمنون الخواص
١٢٨ أبو عبد الله الشاطبي	٧٣ الفضيل بن عياض
١٣٠ عز الدين موسك الصلاحى	٧٣ ابراهيم بن أدهم
١٣٠ ابن خلكان	٧٤ عتبة الغلام
١٣٠ كمال الدين الإدقوى	٧٦ الحسين الحلاج
١٣٠ ابن فرحون اليعمرى	٨٢ ابن عات النقرى
١٣١ شمس الدين أبو شامة	٨٩ أبو حيان النحوى
١٣١ ابن مسدى الغرناطى	٨٩ ابن سيد الناس
١٣٢ المدرسة الفاضلية	٨٩ عز الدين بن جماعة
١٣٢ القاضى الفاضل	٩٠ ابن حجر الهيتمى
١٣٣ أبو الطيب المتنبي	٩٠ برهان الدين القيروطى
١٣٤ ابن العماد الهمدانى السكندرى	٩١ أبو الحسين الحزار
١٣٦ كمال الدين الزملكاني	٩١ سراج الدين الوراق
١٣٨ أبو عبد الله "حافى رأسه"	١٠٥ ابن ناشى القوصى
١٣٨ شرف الدين بن طرخان	١٠٦ ناصر الدين بن المنير
١٣٨ عتيق العمرى	١٠٦ تقي الدين السبكي
١٤٠ نجم الدين بن الرفعة	١٠٧ السلطان لاجين
١٤٠ جلال الدين القزوينى	١١٣ على أبو الوفا الشاذلى
١٤٤ يحيى الأصيلى المصرى	١١٣ كمال الدين بن الهمام
١٤٥ الشهاب الخفاجى	١١٣ ابن أبى جمرة

مؤلفات

صاحب هذه الرسالة الأستاذ حسن السندوبي

جزء	أعيان البيان	طبع في سنة ١٩١٤ ١
١	الشعراء الثلاثة	» » ١٩٢٢ ١
١	شرح على المفضليات	» » ١٩٢٦ ١
٣	شرح على البيان والتبيين	» » ١٩٢٧	أولى والثانية سنة ١٩٣٢
١	شرح على المقابسات	» » ١٩٢٩ ١
١	أدب الجاحظ	» » ١٩٣١ ١
١	رسائل الجاحظ	» » ١٩٣٣ ١
١	شرح ديوان امرئ القيس	» » ١٩٣٩ ١
١	أخبار المراقبة وأشعارهم	» » ١٩٣٩ ١



كَمَل طبع رسالة عن "أبو العباس المرسي" بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الثلاثاء ٦ رجب سنة ١٣٦٣ (٢٧ يونيو سنة ١٩٤٤) م
مجد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٣/٣/١٠٠٠)
